وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي – تبسة –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الحجاج في كتاب "الحيدة والاعتذار" لعبد العزيز الكناني

–مقاربة تداولية–

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر (ل. م. د) تخصص: لسانيات الخطاب

إعداد الطالب: محمد فارح

إشراف الدكتور: رزيق بوزغاية

اللجنة العلمية

الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
فطومة لحمادي	أستاذ التعليم العالي	جامعة العربي التبسي ـ تبسة	عضوا رئيسا
رزيق بوزغاية	أستاذ محاضر-أ-	جامعة العربي التبسي ـ تبسة	مشرفا ومقررا
الطيب العزالي قواوة	أستاذ محاضر-ب-	جامعة العربي التبسي ـ تبسة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2018 / 2019

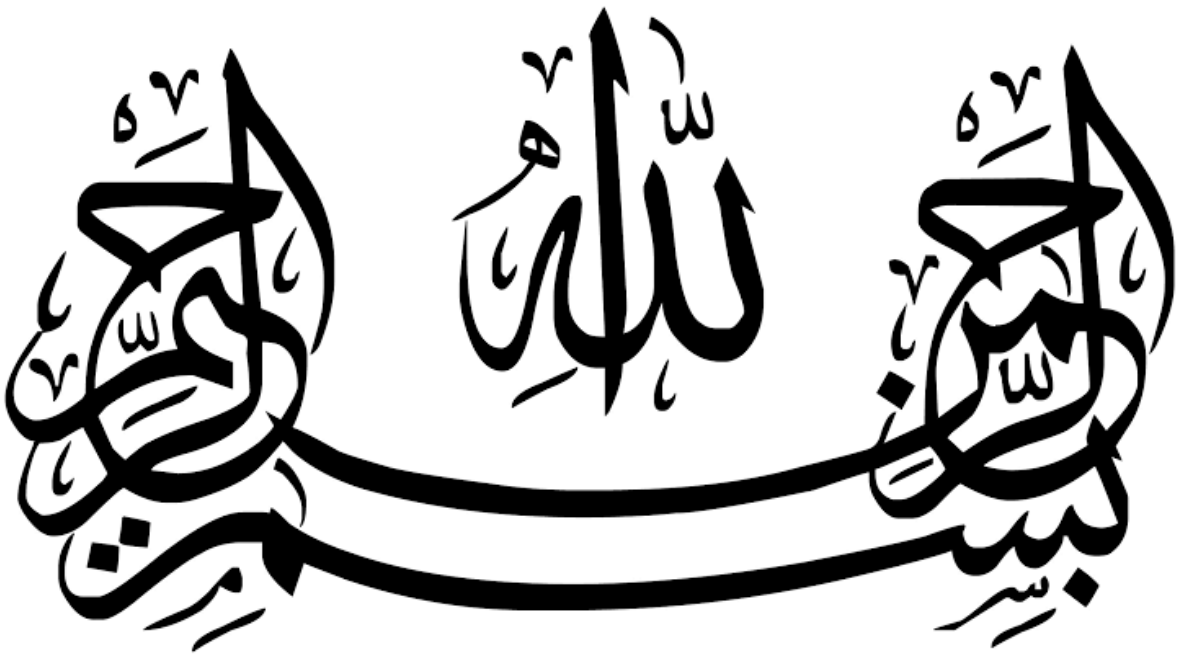
بسم الله الرحمن الرحيم

إلى التي تحاول أن ترسم معالم الحياة أمامي...

إلى الذي يسعى جاهدا ليكتمل هذا الرسم...

إلى الوالدين العزيزين

أهدي هذا العمل

مـــقدمـــــة

لقد شهدت الدراسات اللسانية في العقود والسنوات الماضية تحولا كبيرا، جعلها تغير في مناهج بحثها، فظهرت نظريات عديدة في هذا المجال تحاول مقاربة اللغة بمناهج متعددة وانتقلت الدراسة من دراسة الجملة إلى دراسة النص، ومن البحث عن البنيات التركيبية إلى البحث في المكونات السياقية؛ من خلال معرفة الظروف المحيطة بالعملية التخاطبية.

وتعد اللسانيات التداولية أحد الحقول المعرفية التي كان لها الأثر الكبير في ساحة الدراسات اللسانية الحديثة؛ بما تمتلكه من ترسانة معرفية وآليات إجرائية، تهدف لدراسة اللغة عبر السياقات الاجتماعية التي نشأت فيها، مهتمة بالاستعمال وما يصحبه من ظروف تسهم في نجاعة المرسلة اللغوية.

ويعد الحجاج أحد أهم المباحث في الدراسة التداولية، يعتمد على التأثير واستمالة المتلقي ويتأسس على البنية اللغوية وقت استعمالها في العملية التخاطبية، وقد اهتم الحجاج بكل الأنواع الخطابية المستعملة بين أطراف فاعلين داخل العملية التواصلية، يحاول كل واحد منها التأثير في الآخر، وحمله على تبني وجهة نظره، ونجد المناظرات حقلا خصبا لاشتغال المقاربات التداولية والحجاجية؛ وذلك لتوفرها على كل العناصر التي تسهم في نجاع هذه المقاربات، وقد كانت مناظرة الحيدة والاعتذار مثالا جيدا دفعنا إلى اعتمادها مدونة لهذا البحث؛ كونها محاورة عمد فيها المتناظران إلى حشد مجموعة كبيرة من الأدلة والحجج، بغية التأثير في ذهن الآخر، وفي كل متلق لهذا الخطاب.

ومن هنا جاء هذا البحث الموسوم بـ: **الحجاج في كتاب "الحيدة والاعتذار" لعبد العزيز الكناني –مقاربة تداولية–** في محاولة للوقوف على التوظيف الحجاجي في المناظرات الدينية والعقدية على الخصوص، تعترضنا أسئلة من قبيل: كيف يتمثل الحجاج داخل العملية الإبلاغية في كتاب الحيدة والاعتذار؟ وكيف انبنى الخطاب الحجاجي في هذا الكتاب؟ وكيف تجلت خصائص المشروع الحجاجي في هذه المناظرة؟

ومن أهم الأسباب التي دعتنا إلى اختيار هذا الموضوع: الشغف الكبير بفن المناظرات وذلك لما يحمله من زخم معرفي، وملكة لغوية، وأسلوب بلاغي ونقدي، ومحاولة إثراء جانب غفلت عنه كثير من الدراسات الحديثة اليوم، فإن جل الدراسات والأعمال البحثية تتجه إلى النتاج المعرفي الحديث، مغفلة بذلك الأعمال السابقة والنتاج التراثي على الرغم مما يحمله من طاقات لغوية، وبلاغية، ولسانية، وعلمية، ومعرفية، ضخمة وهائلة.

وقد سبقني إلى مقاربة هذه المدونة الباحث: مراد ليتيمي، في رسالة موسومة بـ: الحجاج في مناظرة (الحيدة والاعتذار) لعبد العزيز الكناني، إشراف الأستاذ: بوجمعة شتوان، مذكرة لنيل درجة الماجستير، تخصص: اللغة والأدب، فرع: بلاغة وخطاب، كلية اللغات والآداب قسم الأدب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر. حيث تناولت الرسالة جوانب مهمة تطرقت في شقها النظري إلى الحديث عن علم الكلام، وموضوعات المناظرة في هذا العلم، ومفهوم المناظرة وشروطها، أما في شقها التطبيقي فتناولت البنية العامة للمناظرة معتمدة على تقنية الاستراتيجيات في العملية التطبيقية، كما أغفلت هذه الرسالة بعض الجوانب الأخرى من مثل: السلالم، والعوامل، والروابط الحجاجية، وقد أنارت المذكرة بعض ما خفي عني، واستعنت بها في فهم بعض المسائل، فجزى الله خيرا الباحث على ما قدمه في خدمة العلم والبحث العلمي.

واعتمد بحثنا على مجموعة من الدراسات العلمية أهمها: في نظرية الحجاج لـ "عبد الله صولة"، هذا الكتاب الذي ألف في مجال الدراسات الحجاجية، وافردت مباحثه لدراسة ما ألفه "شاييم بيرلمان ولويسي تيتيكاه" في كتابهما الشهير "مصنف في الحجاج–الخطابة الجديدة" عام (1958م) وتناول كتاب عبد الله صولة جزءا نظريا عالج فيه المؤلف تعريف الحجاج وعلاقته بالخطابة والجدل، والتقنيات التوجيهية، فيما تناول في جزئه التطبيقي تقديم أمثلة توضيحية فيما يخص التقنيات والطرائق الاتصالية، وكتاب العوامل الحجاجية" لـ "عز الدين ناجح" والذي يعد من الكتب المهمة في الدراسات الحجاجية، تناول فيه المؤلف مفهوم العامل الحجاجي، وخصه بالدراسة عند "ديكرو" و"أنسكومبر"، وبيّن الوظائف الحجاجية التي يكتسيها

الملفوظ وقت اتصاله بالعامل الحجاجي وعلاقة العامل بالمواضع، والسلالم الحجاجية وقدّم نماذج تطبيقية لعوامل من قبيل "حتى" و"بل"، و"الواو".

وتبنى بحثنا المنهج التداولي متكئا على آلية التحليل، واقتضت منهجية العمل تقسيم البحث إلى فصلين: الفصل الأول وسم بـــ: "اصطلاحات ومفاهيم"، اشتمل على تحديد المصطلحات، في البيئة العربية والغربية، وعلاقة هذه المصطلحات فيما بينها. أما الفصل الثاني: فوسم بـــ: "الحجاج في كتاب الحيدة والاعتذار"، حاولنا فيه الوقوف على أهم التجليات الحجاجية التي اعتمدها المتناظران من أجل نجاعة خطابهم، والتوفيق إلى التأثير في بعضها البعض.

وقد واجه هذا البحث بعض الصعوبات منها: خصوصية الفكر الديني والعقدي، خاصة وأن المناظرة دارت حول مسألة عظيمة الشأن، جليلة القدر، تمثلت في مسألة خلق القرآن والتي شهد التاريخ لها بالعظمة؛ لما فيها من تناول صفات الله والحديث حول الذات الإلهية "تعالت وتقدست" والاختلاف المعرفي المذهبي الحاضر والمتجسد في شخصية المتناظرين.

وفي الأخير أتقدم بأسمى عبارات الشكر للأستاذ المشرف "**رزيق بوزغاية**" على اهتمامه وصبره، وحثه المتواصل لإتمام هذا العمل، كما أتوجه بالشكر لأعضاء لجنة المناقشة لما تجشموه من عناء في قراءة البحث وتقويمه.

الفصل الأول: اصطلاحات ومفاهيم

تمهيد:

يحاول هذا الفصل التطرق إلى أهم المصطلحات من مثل: النص والخطاب، والتداولية والحجاج، حيث تم تخصيص لكل واحد منها مبحثا خاصا، تمت معالجة هذه المصطلحات في المعاجم اللغوية بعدها ألفاظا عامة، ثم الحديث عنها لدى الدارسين المتخصصين في مجال الدراسات اللغوية، بعدها مصطلحات تنتمي إلى هذا الحقل.

المبحث الأول: النص والخطاب

المطلب الأول: النص

إنه من الصعب الوقوف على ما يحمله مصطلح "نص" –بمفهومه الحديث– من دلالات وما يعنيه في حقل الدراسات الحديثة إلا بالرجوع إلى الجذور اللغوية، التي تولد فيها هذا المصطلح، سواء أكان ذلك في التراث العربي، أم في اللغات الأجنبية، وحتى في الدراسات اللسانية الحديثة.

1 لغة:

يعد لفظ "النص" أحد الألفاظ التي تناولها تراثنا في المعاجم العربية بوصفها كلمة عربية أو كمصطلح معرفي في مجال من المجالات المعرفية أو العلمية.

وردت كلمة "نص" في عدة معاجم، منها: ما أورده الخليل (ت 175هـ): «نص: نصصت الحديث إلى فلان نصا؛ أي رفعته، ونصصت ناقتي: رفعتها في السير، ونصصت الرجل استقصيت مسألته عن الشيء، يقال: نصّ ما عنده؛ أي استقصاه، ونص كل شيء منتهاه»[1] تدور المعاني للفظة "نص" حول: الرفع، والإبانة، والانتهاء، والاستقصاء.

وهو ما نجده عند ابن منظور (711هـ): «نصص: النصّ: رفعك الشيء، نص الحديث ينصّه نصا: رفعه، وكل ما أظهر فقد نصّ ونصت الظبية جيدها: رفعته»[2] نلاحظ أن "ابن منظور" حذا حذو "الخليل" وجعل المعنى يدور حول: الظهور، والبيان.

وتعود لفظة "نص" في اللغات الأوروبية إلى معنى النسج والتشابك، إن «لفظ Texte مشتق من الجذر اللاتيني Textus وتعني "منسوج–نسيج" "Tissé–tissu"، وأطلق في سنة 1155 على كتاب الإنجيل، وبقيت بهذا المعنى إلى غاية 1265؛ حيث ظهرت كلمة Textuel بمعنى نصيّ، وذلك سنة 1453، وبعدها نجد كلمة Textuaire والتي تعني الكتابة

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2003م، ج04، ص: 228.

[2] ابن منظور: لسان العرب، تح: عبد الله على الكبير وآخران، دار المعرف، القاهرة، ط01، (د، ت)، مج06، ج49، ص: 4441.

من دون رسوم، وهذا حسب "موني Monet"، نجد أيضا كلمة Contexte مشتقة من اللاتينية Contextus والتي تعني تسلسل النسيج والسياق، وفي سنة 1960 ظهرت كلمة Contextuel بمعنى سياقي، حتى القرن 19 ظهرت كلمة Contexture والتي تعني التشابك والتلاحم»[1]، ويحمل هذا اللفظ في دلالته ما انبنى عليه مفهومه الاصطلاحي وهو التشابك والتلاحم.

2 اصطلاحا:

2-1 في اصطلاح علماء العرب:

لقد ظهر مصطلح النص عند علماء الأصول واستعملوه في كتابتهم، فقد ورد في الرسالة للشافعي: «فحق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه، والصبر على كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله، في استدراك علمه: نصا، واستنباطا، والرغبة في العون عليه فإنه لا يدرك خير إلا بعونه، فإن من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصا، واستدلالا وفقه الله للقول والعمل بما علمه فاز بالفضيلة في دنياه»[2]، نلاحظ أن لفظة "نص" ذكرت في قول الشافعي رحمه الله مرتين، مرة مقترنة بالاستنباط، وأخرى بالاستدلال، ويقترنان هما به وبذلك يكون النص ظاهر الدلالة.

كما ورد تعريف "النص" عند صاحب التعريفات "الجرجاني": «النص: ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى في المتكلم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، فإذا قيل أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي، ويغتم بغمي، كان نصا في بيان محبته، ما لا يحتمل إلا معنى واحدا

[1] Jean Dubois et autres : Dictionnaire étymologique et historique du français, Éditions Larousse, Paris, France, 2007, P : 825.

[2] محمد إدريس الشافعي: الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، مصر، ط01، 1938م، ص: 19.

وقيل مالا يحتمل التأويل»[1]، وقد قصد الشريف بأن النص هو ما كان واضحا من الكلام يحمل معنى واحدا، ولا يحتمل التأويل.

من التعريفين نجد أن النص لا يخرج عما ذهب إليه أصحاب المعاجم وتدل كلمة "نص" عندهم على الظهور، والإبانة، والوضوح.

2-2 في اصطلاح علماء الغرب:

شهدت الدراسات اللسانية الحديثة في السنوات الماضية تحولا كبيرا، مسّ المناهج البحثية فظهرت نظريات عديدة، وبمصطلحات كثيرة، وانتقلت الدراسات اللسانية من دراسة الجملة إلى دراسة النص باعتباره الوحدة الأساسية لهذه الدراسات.

2-2-1 النص عند هاليداي "Halliday":

ينطلق "هاليدي ورقية حسن" في تعريفهما للنص من مبدأ التماسك؛ فالنص «كل متتالية من الجمل يكون بينها علاقات، أوبين عناصر هذه الجمل علاقات»[2] هذه العلاقة تحكم الجمل وتربطها فيما بينها، ويرى الباحثان أن النص يتخذ عدة أشكال «يمكن أن يكون منطوقا، أو مكتوبا، نثرا، أو شعرا، حوارا أو منولوجا»[3]، فهذه الأشكال هي نصوص، ما دامت أنها متماسكة بعلاقات فيما بينها؛ فالنص إذن هو مجموعة من الجمل المترابطة، تساهم هذه العلاقات في تماسكه، ووضوحه.

2-2-2 النص عند فان دايك "Van Dijk":

يعتمد فان دايك في تعريفه للنص على تصور بين البينة السطحية للنص والبنية العميقة ويرى أن النص «بينة سطحية توجهها وتحفزها بنية عميقة»[4]؛ فالبنية السطحية هي تجلي للبنية العميقة وأن هذه الأخيرة تدعم مبدأ التماسك الدلالي للنصوص باعتباره ظاهرة تركيبة

---

[1] الشريف على بن محمد الجرجاني: التعريفات، مطبعة مصطفى البابي الحلي وأولاده، مصر (د، ط)، 1938م، ص: 215.

[2] محمود عكاشة: تحليل النص، مكتبة الرشد، (د، م)، ط01، 2014م، ص: 14.

[3] محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط01، 1991م، ص: 13.

[4] زتسيسلاف واوززنياك: مدخل إلى علم النص، تر: حسين البحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط01، 2003م، ص: 56.

تتكون في بينة النص العميقة[1]، وهذا خلاف لمن يرى بالتماسك النحوي للنص أمثال "إيزنبرج" و"هارفج" اللذان يريان أن النص يتأسس على الاستبدال النحوي (سينتجماتي) واضعا تصنيفا لذلك وأنماطا أساسية للاستبدال النحوي.[2] ويرى "فان دايك" أن النص هو الموضوع التي تشتغل عليها اللسانيات فهو عبارة عن مجموعة من الجمل تكون متتالية ومترابطة فيما بينها؛ من أجل تشكيل هذه الوحدة «إن النص باعتباره موضوع نظرية اللسانيات فإننا نعتبره متتالية من الجمل بالدرجة الأولى»[3] فالنص يتجاوز حدود الجملة ليصبح وحدة متكاملة وتكون الجملة جزءا منه.

2-2-3 النص عند روبرت دي بوجراند " R. De. Beaugrande ":

يفرق "دي بوجراند" بين مصطلح الجملة والنص، ويرى أن الجملة ما هي إلا عنصر ينضوي تحت نظام النص؛ فالنص «نظام فعال على حين نجد الجمل عناصر من نظام افتراضي»[4]، هذا النظام لا يخضع إلى قيود القواعد المفروضة على الجملة لأنه «يمكن أن يتم التغلب عليها بواسطة الاهتمام بتحفيزات تعتمد على سياق الموقف»[5]؛ فالنص بحسب دي بجراند يستمد تعريفه من خلاله، وعليه يكون النص في مقابل اللانص، هذا التقابل لا يكون إلا بالمقارنة.

نلاحظ من التعريفات السابقة أن الدارسين اللسانيين يتنازعون في وضع تعريف جامع للنص، وقد اختلفوا في ذلك، فمنهم من يعرفه انطلاقا من تحديد العلاقة بين الجمل كـ "هاليداي" ومنهم من يعرفه من منظور البنيات كـ "فان دايك"، ومنهم من يستند على المعايير النصية والتفريق بينه وبين اللانص كـ "دي بوجراند"، ولكنهم يجمعون على أن النص، يخالف الجملة وأن هذه الأخيرة تعد جزءا منه.

---

[1] زتسيسلاف واوززنياك: مدخل إلى علم النص، ص: 56.

[2] المرجع نفسه، ص: 55.

[3] حسين خمري: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط01، 2007م، ص: 50.

[4] روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والاجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط01، 1998م، ص: 89.

[5] المرجع نفسه، ص: 90.

المطلب الثاني: الخطاب

لقد حفلت الدراسات اللسانية الحديثة بمصطلح الخطاب، وعدته مصطلحا مركزيا، وبنى كثير من الدارسين أبحاثهم حوله، إلا أن هذا المصطلح اكتنفه كثير من الغموض، واختلف الباحثون حول تحديد مفهوم له، فمنهم من يقصد به المنطوق، ومنهم من يضعه في مقابل المكتوب، ومنهم من سوّى بينها.

1 لغة:

ورد لفظ الخطاب في المعاجم العربية، فقد ذكر الخليل في معجمه: «خطب: الخطب: سبب الأمر، والخطاب: مراجعة الكلام، والخطبة: مصدر الخطيب، وكان الرجل في الجاهلية إذا أراد الخطبة قام في النادي، فقال خطب، وجمع الخطيب خطباء، وجمع الخاطب خطّاب»[1] يقترن مفهوم الخطاب بالكلام الشفوي المنطوق، ويوصف من يقوم بالخطبة ويسمى الخطيب ومن يطلب الزواج خاطب، وكلاهما يشتركان في اشتمال الأمر على الكلام.

ولا يبتعد "ابن منظور" عن الخليل، حيث يتفقان في أن الخطاب يكون ملتصقا بمفهوم الكلام، وأن التخاطب بين اثنين هو محاورة شفوية ملفوظة.[2]

أما الخطاب في اللغات الأجنبية فهو مأخوذ من لفظة "ديسكورسيسdiscursus " اللاتينية والتي «تعني إنشاء لفظيا حول موضوع محدد، يتم القاؤه علنا»[3] فيرتبط الخطاب في هذا التعريف بالجانب المنطوق، وهو ما يرادف الكلام.

---

[1] الفراهيدي: كتاب العين، ج01، ص: 420.

[2] ابن منظور: لسان العرب، مج02، ج14، ص: 1194.

[3] Le petit larousse illustré, dictionnaire de français, larousse, Paris, France, p : 370.

2 اصطلاحا:

2-1 عند الأصوليين:

تناول الأصوليون مصطلح "الخطاب" في كتبهم، وتناقلوه، وشرحوه، وقرنوه بالكلام عامة تارة، وبالشارع الكريم تارة أخرى، ومن ذلك ما أورده الآمدي، فيقول: «هو الكلام الذي يفهم المستمع منه شيئا»[1]، فقرن الكلام عامة، واشترط فيه الإفهام الحاصل في ذهن المستمع، فإن لم يفهم من هذا الكلام لم يسم خطابا. ولكنه يشترط في موضع آخر وجوب أن يكون المستمع ممن هو أهل للفهم: «والحق أنه اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه»[2]، ويخرج من ذلك جملة من ليس مهيا للفهم، كالمجنون، والنائم، والمغمى عليه، وغير ذلك.

2-2 في الدرس الحديث:

يتموقع الخطاب في الدراسات الحديثة وعند اللسانين موقعا مركزيا، اشتغلوا عليه من خلال مقاربتهم للغة بمناهج حديثة، وبالرغم من اتفاقهم حول تحديد انتماء هذا المصطلح إلا أنهم اختلفوا في ضبط مفهومه.

2-2-1 عند زاليغ هاريس "Zellig Harris" :

يعد "زاليغ هاريس" أول من أشار إلى مصطلح "الخطاب" وذلك في مقال له بعنوان "تحليل الخطاب" وقد عرّفه بأنه: «عبارة عن ملفوظ طويل أو سلسلة من الجمل»[3] فهاريس يعرف الخطاب من خلال تسلسل الجمل فيما بينها، وهذا التعريف تعريف تجريدي، ولا يعطي سيمة للتفريق بين الخطاب والنص، كما أنه ينظر إلى الخطاب على أنه ملفوظ طويل؛ أي أن معيار الحجم يلعب دورا مهما في تحديد المصطلح.

---

[1] الآمدي على بن محمد: الإحكام في أصول الأحكام، تع: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، الرياض، السعودية، ط01، 2003م، ج01، ص: 131.

[2] المرجع نفسه، ج01، ص: 132.

[3] ليندة قياس: لسانيات النص، تق: عبد الوهاب شعلان، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط01، 2009م، ص: 41.

2-2-2 عند فان ديك "Van Dijk":

يخالف "فان دايك" "هاريس" في تعريف الخطاب، إذ ينطلق في تفريقه بين الخطاب والنص ليصل إلى وضع تعريف لكل واحد منها، ويرى أنّ «الخطاب فعل الإنتاج اللفظي ونتيجته الملموسة، والمسموعة، والمرئية، بينما النص هو مجموع البينات النسقية التي تتضمن الخطاب وتستوعبه»[1] فالخطاب عند "فان ديك" يتمثل في الميكانيزم الذي يحمل النص، وهو فعل هذا الإنتاج، والنتيجة التي تظهر من خلال الفعل، في حين أن النص هو مستوى بنيوي في عملية الإنتاج.

2-2-3 عند بنفنست "BENVENISTE ":

يحدد "بنفنيست" الخطاب على أنه مصطلح مرادف للملفوظ، داخل دارة تواصلية، يحمل قصدا، وتأثيرا، فهو «عبارة عن ملفوظ ينظر إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل، وهو كل تلفظ يفترض مرسلا ومستقبلا للمرسلة اللغوية، ويفترض عند الباث قصد التأثير على المتلقي بكيفية ما»[2]، يتحدد مفهوم الخطاب عند "بنفنيست" داخل سياق تواصلي يحمل هدف التأثير، ولا ينظر إلى هذا الملفوظ إلا من خلال اشتغاله في العملية التواصلية بين المتكلم والمستمع، وما يحيط بهما من ظروف.

أما في الدراسات العربية الحديثة فقد انتقل هذا المصطلح إلى البيئة العربية من خلال فعل الترجمة والمثاقفة، كما انتقل معه التباين في مفهومه؛ بسبب عوامل كثيرة، منها اختلاف التخصصات لدى الدارسين له، واختلاف مشاربهم الفكرية والعلمية.

[1] أحمد مداس: لسانيات النص، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط02، 2009م، ص: 15.

[2] ليندة قياس: لسانيات النص، ص: 40.

المبحث الثاني: التداولية

المطلب الأول: مفهوم التداولية

تعد التداولية تتويجا معرفيا للتطورات الحاصلة في الدرس اللساني الحديث، ظهرت بعد سقوط المدارس البنيوية، وجاءت لتتدارك ما أغفلته هذه المدارس في دراستها، ومن أهم هذه المسائل الاهتمام بالظروف المحيطة بالعملية التخاطبية، وبالسياق الاستعمالي للغة.

1 التداولية لغة:

يعود هذا المصطلح إلى الجذر اللغوي الثلاثي (دول)، وقد ورد في عدة معاجم بمعنى الانتقال، والتحول. قال الزمخشري: «دول: دالت الدولة، ودالت بكذا، والله يداول الأيام بين الناس، مرة لهم، ومرة عليهم، والدهر دُوَلٌ، وعقبٌ، ونوبٌ، وتدالوا الشيء بينهم، والماشي يداول بين قدميه: يراوح بينهما»[1]؛ فالمداولة هي التعاقب، والمراوحة، والانتقال، والتحول، فالماشي ينتقل ويراوح بين قدميه؛ أي يداول بينهما، والكلام يتداوله المتخاطبون، أي يتناقلونه.

جاء في لسان العرب: «يقال تداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى تعاورناه، فعمل هذا مرة وهذا مرة، واندال القوم: تحولوا من مكان إلى مكان»[2]، نلاحظ أن هذا التعريف لم يخرج عما ذكره "الزمخشري"، وتكتسي لفظة "التداول" معنى التبادل، والتحول، وقد تضمنت المشاركة في هذا، ويوحي معنى التحول والتبادل إلى وجود أطراف تتشارك فيه، وهذا ما نجده في العملية التخاطبية، بوقوع التبادل، والتحول في هذه العملية.

ويعود مصطلح التداولية في اللغات الأوروبية إلى الكلمة اللاتينية "Pragmaticus" المأخوذة من الجذر اللغوي "Pragme"، جاء في القاموس الفرنسي "لاروس": «البراغماتية فرع من اللسانيات، يدرس العلاقة بين اللسان والاستعمال، وعلاقة المتكلم بالحالة التواصلية»[3]

---

[1] الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1998م، ج01، ص: 303.

[2] ابن منظور: لسان العرب، مج02، ج17، ص: 1455.

[3] Le petit larousse illustré, dictionnaire de français, larousse, Paris, France, p : 856.

فالتداولية فرع من اللسانيات، تهدف دراسة اللغة في الاستعمال، والعلاقة القائمة بين المتخاطبين، والظروف المحيطة بالعملية التخاطبية.

2 التداولية اصطلاحا:

ظهرت التداولية في الوسط الغربي، وترعرت في أحضانه الفلسفية، وقامت على روافد متجذرة في هذه البيئة وانبثقت داخلها، ونمت، وتبلورت مقولاتها، حتى صارت علما، وفرعا من اللسانيات، فهي «مفهوم يستعمل اسما (التداولية) كما يستعمل صفة (مقاربة تداولية) وقيمته على عدم استقرار شديد، فهي تسمح في نفس الوقت بتعيين فن فرعي من اللسانيات، ونزعة ما في دراسة الخطاب، أو بصفة أوسع ما للغة»[1] فالدرس التداولي لا يمتلك الرسوم البينية وذلك لغزارته، وتداخله بالعلوم الأخرى، ولكونه درسا جديدا في الساحة اللغوية، واللسانية فالتداولية «درس جديد، وغزير إلا أنه لا يمتلك حدودا واضحة»[2]، وتعد التداولية فرعا من فروع اللسانيات، ولكنها تعمل على دراسة اللغة من خلال الاستعمال في العملية التخاطبية وما يحيط بها من ظروف «إنها الدراسة أو التخصص الذي يندرج ضمن اللسانيات، ويهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل»[3]، فاهتمام التداولية ينصب أكثر على استعمال اللغة لا على اللغة نفسها، فهي «دراسة اللغة في الاستعمال»[4]، فالاستعمال هو ما تشتغل عليه التداولية.

وانتقل هذا العلم إلى البيئة العربية من خلال أعمال الترجمة، وكان للفيلسوف المغربي "طه عبد الرحمان" الأثر البارز، والفضل الكبير في إدخال هذا العلم إلى الثقافة العربية، كان ذلك سنة (1970م)، وقد فضل مصطلح "التداولية" مقابلا للمصطلح الأجنبي "براغماتيقا" وقد بين سبب تبنيه باعتبار دلالته، والتي تعني الاستعمال والتفاعل.[5] وقدم "طه عبد الرحمان"

---

[1] باتريك شارودو، ودومينيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، وحمادي صمود، مر: صلاح الدين الشريف، دار سيناترا، تونس، (د، ط)، 2008م، ص: 442.

[2] أحمد فهد صالح شاهين: النظرية التداولية، عالم الكتب الحديث، بيروت، ط01، 2015م، ص: 08

[3] فليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غولفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ط01، 2007م، ص: 19.

[4] أحمد فهد صالح شاهين: النظرية التداولية، ص: 10

[5] طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجدد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط02، 2000م، ص: 28.

كتابات في هذا التوجه المعرفي واللساني الجديد، أثرى به البحث اللغوي في البيئة العربية وفعل كثير من الدارسين من أمثال "مسعود صحراوي" وكتابه القيم "التداولية عند العلماء العرب" محاولا إثراء الدرس اللساني مناقشة، وتحليلا، وتبسيطا، ومقارنة بما جاء به الغرب وما سبق إليه العرب الأوائل، والتقاطع الحاصل بينهما في كثير من المسائل.

المطلب الثاني: أصول التداولية

تعود أصول التداولية إلى ثلاث روافد أساسية هي: الفلسفة، والسيميائيات، واللسانيات.

1 الفلسفة:

ارتبطت التداولية بالفلسفة التحليلية، وقد أشار "مسعود صحراوي" إلى أن هذا التوجه ظهر على يد الفيلسوف "غوتلوب فريجة Gottlob frege" وتأثر به عدد من الفلاسفة، منهم "هسرل Husserl" و"كرناب Carnap" و"فيغنشتاين Wilgenstein" و"أوستن Austin"، وغيرهم والقاسم المشترك بين هؤلاء هو التركيز على اللغة في فهم الإنسان لذاته، والعالم.[1]

ومن أهم ما يدعو إليه هذا الاتجاه:

- الثورة على أسلوب البحث الفلسفي القديم، خاصة الجانب الميتافيزيقي منه.
- الاهتمام بالتحليل اللغوي.
- تحديد بعض المباحث اللغوية وتعميقها.[2]

وتنقسم الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة أقسام، هي:

1-1 الوضعانية المنطقية:

يرى "مسعود صحرواي" أن الوضعانية المنطقية اهتمت بدراسة اللغة المثالية، وبناء لغات بديلة، مقصورة على مجال تواصلي في غاية المحدودية والرسمية، والتخصيص العلمي الضيق

[1] مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط01، 2005م، ص: 21.

[2] النذير ضبعي: الأبعاد التداولية في مقامات الهمذاني، (شهادة ماجستير)، إشراف: فوزية دندوقة، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2014-2015م، ص: 08.

وسلوكها هذا المسلك أقصى القدرات التواصلية في اللغة الطبيعية.[1] ويعد "كرناب" أحد أهم زعماء هذا التوجه، الذي سرعان ما تحول عن هذا التفكير؛ بعدما «أحس أن اللغة ليست فقط قواعد بناء جمل وتركيبها، وإنما دلالة على واقع، وتعبر عنه في الدرجة الأولى»[2]، وبذلك يتوجه "كرناب" إلى دراسة اللغة العادية ابتداء من هذا المنطلق، ليؤلف في ذلك كتابه الشهير "المعنى والضرورة".

1-2 الظاهرتية اللغوية:

هذا التوجه كان بزعامة الفيلسوف الألماني "هوسرل" ويرى "مسعود صحراوي" أن من أبرز ما جاءت به هذه الفلسفة هو مبدأ "القصدية"، والذي استثمره "أوستن" في نظريته المشهورة "أفعال الكلام"، غير أن هذا التوجه قد انغمس في البحث عن مباحث بعيدة عن الاستعمال اللغوي، وعن ظروف استخدام اللغة.[3] وبذلك يكون هذا التوجه توجها غير تداولي بالرغم من الإضافة التي قدمها للدراسة التداولية والمتمثلة في مبدأ القصدية.

1-3 الفلسفة العادية:

يعد هذا التيار الرحم الذي انبثقت منه التداولية، وأهم «قوامها الحديث عن طبيعة اللغة وطبيعة المعنى في كلام الرجل (الإنسان) العادي، أهم ما يميز فلسفة فيتغنشتاين التحليلية بحثه في المعنى، وذهابه إلى أن المعنى ليس ثابتا ولا محددا»[4]؛ وبذلك يصبح اهتمام هذه الفلسفة باللغة العادية واستعمالها نقطة انبثاق التداولية ونشأة ظاهرة أفعال الكلام داخلها.

2 السيميائيات:

يعد "تشارلز ساندرس بورس Charles Sanders Peirce" زعيم هذا التوجه، وأهم من درس العلامة من منظور فلسفي، وتعد العلامة «أساس النشاط السيميائي؛ حيث أصبحت

[1] مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، ص: 22، 23.
[2] محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ط)، 1985م، ص: 128.
[3] مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، ص: 23.
[4] المرجع نفسه، ص: 20.

عنده أوسع من مجالها اللغوي»[1]، فكل شيء في نظر "بيرس" علامة سيميائية؛ ولهذا فالسيميائيات حسبه «بعيدة عن أن تكون مجرد درس تجريبي، فأسسها تأملية وفلسفية»[2] ونجده يدرس اللغة من خلال ربطها بحالة التواصل، مرتكزا في ذلك على ظروف الاستعمال «وانطلاقا من إنجازه ستفهم اللغة في إطار التواصلية، ويصبح المعنى وظيفة استعمال»[3] فقد استفاد الدرس التداولي من جهود وأفكار "بيرس" خاصة حين أقام «التمييز بين التعبير بعده نمطا وبين ما يقابله أثناء الاستعمال»[4] لقد أقامت أفكاره أرضية خصبة لنشأة التداولية؛ من خلال دراسته للعلامة واهتمامه بالاستعمال.

ويعد الفيلسوف "وليام موريس William Morris" أحد المؤسسين للدرس السيميائي إلى جانب "بيرس" ساهمت أفكاره في نشأة التداولية؛ من خلال جعله التداولية جزءا من السيميائية وهي في نظره «تعالج العلاقة بين العلامات ومستعمليها»[5]، لتتأسس من هذه الرؤية الدراسة التداولية، مركزة في ذلك على الجانب الاستعمالي للعلامات.

3 اللسانيات:

تعد اللسانيات رافدا مهما للتداولية؛ فالتطورات التي شهدها الدرس اللساني خلال مسيرته وظهور اتجاهات لسانية مختلفة ساهم في ظهور الدرس التداولي «فبعد تعميم النموذج اللغوي على العلوم الإنسانية والمعارف ظهرت تيارات الخروج عن هذا النموذج»[6] مما أدى إلى سقوط بعض الاتجاهات وظهور أخرى، ومن ذلك قيام السيميائية بعد أفول نجم البنيوية.

---

[1] خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط01، 2009م، ص: 55.

[2] فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، (د، ط)، 1986م، ص: 15.

[3] المرجع نفسه، ص: 16.

[4] خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص: 55.

[5] فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص: 07.

[6] خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص: 59.

وحاولت السيميائية أن تعالج ما أغفلته البنيوية في دراستها، «واتسع موضوع البحث من النص الأدبي إلى الخطاب الفلسفي أو الديني»[1]، لتتسع دائرة الاهتمام بالبحث والانتقال من المجال الأدبي إلى مجالات أخرى.

ثم الانتقال بعد ذلك من دراسة الكلمة بعدها أصغر وحدة في الدراسة إلى دراسة النص لتصل إلى «بناء علم مستقل متميز عن كل علم آخر وهو "لسانيات النص Texte Liguistics"»[2] هذا العلم الذي كانت «مهمته هي أن يصف الجوانب المختلفة لأشكال الاستعمال اللغوي وأشكال الاتصال، ويصححها، كما تحلل في العلوم المختلفة في ترابطها الداخلي والخارجي»[3] ليقدم هذا العلم الجديد أسسا للمعرفة اللسانية بصفة عامة، وللمعرفة التداولية بصفة خاصة، ويكون رافدا مهما للدرس التداولي.

المطلب الثالث: قضايا التداولية

تسعى التداولية للبحث في عدة قضايا ومن أهمها:

1 أفعال الكلام:

تعود فكرة أفعال الكلام إلى الفيلسوف "أوستن"، ونشأت هذه النظرية من فكرة الاستعمال اللغوي؛ لتصبح أهم نظرية في التداولية، ومهمة الاستعمال «ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه»[4]، ذلك أن المتكلم ينجز عملا بمجرد النطق، وقد قسم "أوستن" الجمل إلى: جمل خبرية، وجمل إنشائية، في بادئ الأمر، ثم ركز على أفعال الكلام، وقسمها إلى:

[1] خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص: 59.

[2] الأزهر زناد: نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط01، 1993م، ص: 18.

[3] فان ديك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر وتع: سعيد حسن البحيري، دار القاهرة، القاهرة، مصر، ط01، 2001م، ص: 11.

[4] خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص: 89.

1-1 الفعل القولي "Acte Locutoire":

يقابل التلفظ بالأصوات أو «إنشاء تعبير لغوي ذي معنى»[1]، وكل الكلام ينطبق عليه هذا النوع كون اللغة ذات طبيعة صوتية.

1-2 الفعل المتضمن في القول " Acte Illocutoire ":

وهذا النوع يشمل الجانب الإنجازي، ويحصل فيه التعبير عن قصد المتكلم من أدائه: يعد، ينذر...الخ «ينجز الفعل الوظيفي عبر قوة اللفظ التواصلية»[2]؛ فالمتكلم يقوم بإنجاز حدث ما من خلال الكلام، كالوعد والالتزام.

1-3 الفعل الناتج عن القول "Acte Perlocutoire ":

يكون من خلال التأثير الحاصل على المتلقي؛ أي «التسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر»[3]، وذلك بحمل المتلقي على الاقتناع بما أراده المخاطِب منه.

2 الملفوظية:

تعود فكرة الملفوظية إلى ما قدمه "بنفنسيت"، وتعتبر هذه النظرية أن الأداء اللغوي يجب أن يكون داخل شروط التفاعل؛ لتكون نشأتها داخل الدرس التداولي، وداخل العلاقة القائمة بين المتكلم واللغة.[4] ويقوم مفهومها على مبدأ الاستعمال «حيث تقابل التوظيف الفعلي للغة»[5] وهذا التوظيف يقابل الإنجاز الفردي للغة.

3 الإحالة:

تعد الإحالة أحد أهم العناصر اللغوية التي تحقق للنص تماسكه وتلاحمه؛ من خلال «الروابط الداخلية التي تربط بين وحدات النص وتحقق تماسكه وانسجامه، والروابط التي تربطه

---

[1] جورج يول: التداولية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط01، 2010م، ص: 82.

[2] المرجع نفسه، ص: 83.

[3] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص: 42.

[4] خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص: 103.

[5] المرجع نفسه، ص: 104.

بعالمه الخارجي»[1]، وعناصر الإحالة «لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء الخطاب»[2]، فليس لها دلالة في ذاتها، وتفهم من خلال التوظيف السياقي والاستعمالي لها.

4 السياق:

يعد السياق مرتكزا من مرتكزات المقاربة التداولية، كون «تحليل الجمل يخضع إلى السياق وكذلك تحليل أفعال الكلام، وقوانين الخطاب، ومسائل الملفوظية، والقضايا الحجاجية وغيرها»[3]، فالسياق يعمل على تحديد معالم النتاج النصي؛ «فالسياق مسألة ضرورية وحاسمة في مجال اللغة، حيث يسمح لنا بالحديث عن الأشياء بدقة ووضوح، ويمكننا تحديد ودراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والكلامي في استعمال اللغة»[4]، وبهذا يصبح السياق جزءا مهما في التداولية لأن «معرفة السياق الذي تستخدم فيه اللغة يوضح المعنى الوظيفي للغة، ويفرض عليها قيمة حضورية معينة»[5] ليكون السياق عنصرا مهما في بناء النص وتداوليه، وفهمه.

5 المحادثة:

تعود نظرية المحادثة للفيلسوف "بول غرايس Paul Grice" في مقال نشره سنة (1975م) «يسجل هذا المقال تطورا في مفهوم الدلالة غير الطبيعية ويصوغ مقاربة لإنتاج الجمل وتأويلها»[6]، ويرى "غرايس" أن هناك جملا تحمل معنيين في الوقت نفسه، المعنى الأول

---

[1] محمود عكاشة: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط01، 2013م، ص: 84.

[2] الأزهر زناد: نسيج النص، ص: 118.

[3] خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص: 114.

[4] فطومة لحمادي: السياق والنص استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي، مجلة كلية الأدب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع2، 3، جانفي، جوان 2018، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص: 23.

[5] عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، تق: سليمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط02، 2009م، ص: 01.

[6] آن ريبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، مر: لطيف زيتوني، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط01، 2003م، ص: 54.

هو المعنى الحرفي، والثاني هو المعنى الاستلزامي، ويعتقد «أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام (مبدأ التعاون) وبمسلمات حوارية»[1] وصاغ أربعة قواعد لنظريته:

- قاعدة الكم: أن يكون الخطاب غنيا بالأخبار بشكل كاف من غير زيادة.
- قاعدة الكيف: أن يكون الخطاب صائبا وحقيقيا اعتقادا، ولا يفقد البرهنة على ذلك.
- قاعدة العلاقة (المناسبة): أن يكون دقيقا، وتكون المساهمة دالة.
- قاعدة الصيغة: أن يكون واضحا، غير مبهم، موجزا، منظما.[2]

6 الحجاج:

يعد الحجاج مبحثا تتجاذبه كثير من العلوم، مثل: التداولية، والخطابة، والفلسفة، والبلاغة «وهذا ما جعل مفهوم الحجاج يطعم بمفاهيم وظائف وتنظيرات مختلفة ما زالت في تجديد مستمر»[3] وغايته الإقناع وحمل المتلقي على القيام بأمر ما، فهو «بحث من أجل ترجيح خيار من خيارات قائمة وممكنة، بهدف دفع فاعلين معينين في مقام خاص إلى القيام بأعمال إزاء الوضع الذي كان قائما»[4]، هذا الدفع سيكون من خلال التأثير في المتلقي بواسطة الحجج التي يسوقها المتكلم.

[1] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص: 33.
[2] خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص: 80.
[3] محمد ولد سالم الأمين: حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، الجماهرية العظمى، ط01، 2004م، ص: 11.
[4] خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص: 105.

المبحث الثالث: الحجاج

المطلب الأول: مفهوم الحجاج

يعمل الحجاج على تبني نمطية تأثيرية في العملية التخاطبية التي يسعى فيها المخاطِب إلى التأثير في المخاطَب.

1 لغة:

تكتسي لفظة "حجج" عدة معان من الناحية المعجمية، واللغوية، ونجدها عند الخليل في معجم العين «حجّ علينا فلان؛ أي قدم، والحج: كثرة القصد إلى من يعظم»[1] وتعني لفظة حج عنده القدوم والقصد (النية)، وجاء في لسان العرب: «حججته أحاجه حجاجا، ومحاجة، حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها»[2]، ومن خلال التعريفين نجمل معاني لفظة "حج" في: القدوم، والقصد، والغلبة.

أما في اللغة الفرنسية فتعني لفظة "الحجاج" "Argument" «مجموعة من الحجج تهدف لنتيجة واحدة»[3]، فالحجاج هو عرض لمجموعة من الحجج لخدمة نتيجة ما، وهو «مجموعة من الحجج، ومجموعة من تقنيات التواصل لإثارة أو زيادة تواصل المحاور مع الرسالة المقدمة له»[4]، ليكون الحجاج بهذا تقنية تواصلية تحمل غاية تأثيرية.

2 اصطلاحا:

تتجه تعريفات الدارسين لمصطلح الحجاج نحو تحديد موضوعه وآليات اشتغاله، وتتفق في كونه أداة يستخدمها المخاطِب للتأثير في المخاطَب، وفق شروط سياقية ومقامية، فهو «نشاط لغوي واجتماعي غايته دعم أو إضعاف مقبولية وجهة نظر متنازع فيها لدى مستمع أو قارئ، ذلك بعرض كوكبة من القضايا قصد تبرير (أو دحض) هذه الوجهة أمام قاض

---

[1] الفراهيدي: العين، ج01، ص: 286.

[2] ابن منظور: لسان العرب، ج02، ص: 779.

[3] Le Robert : dictionnaire de française, Paris, 2005, P : 23.

[4] Le petit larousse illustré, dictionnaire de français, larousse, Paris, France, p : 107.

عقلاني»[1]؛ فالحجاج نشاط مركوز داخل اللغة، يتسم بالطبيعة الاجتماعية، ويشتغل وقت التنازع في قضية ما بين طرفين (مخاطِب/مخاطَب)، من خلال عرض أجزاء هذه القضية ويتوجه نحو تبرير وجهة نظر أو دحضها.

وجاء في قاموس اللسانيات: «الحجاج: في البلاغة نسمي حجة كل الاقتراحات الموجه للإقناع، نميز حسب الشكل الحجج عن طريق القياس، عن طريق المقارنة، عن طريق التمييز عن طريق التبادل، عن طريق السخرية...الخ»[2]، فكل الأقوال والاقتراحات هي حجج إذا ما كانت تحمل نية التأثير في متلق ما، وتتنوع هذه الحجج وتتعدد.

وذهب شاييم بيرلمان Shaiem Perlman إلى أن الحجاج هو: «درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم»[3]، فالحجاج حسب بيرلمان هو تقنية تخاطبية تعمل على التأثير في الأذهان، وتحملها على اعتناق وجهة نظر معينة، أو تحاول أن ترفع من درجة مقبولية رأي معين.

ويرى أبو بكر العزاوي أن الحجاج يتمثل في «تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة»[4]، فالحجاج في اعتقاده يقوم على تقديم وعرض الحجج والأدلة داخل العملية التخاطبية يستلزم من ذلك أن تفضي مجموع هذه الحجج إلى نتيجة معينة.

ف: ح1 + ح2 + ح3 = ن.

و: ح1، ح2، ح3 حجج.

أما: "ن" نتيجة.

---

[1] باتريك شارودو، ودومينيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، ص: 70.

[2] Jeaun Duboit et autres: dictionnaire de linguistique, p49

[3] محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط01، 2008م، ص: 107.

[4] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط01، 2006م، ص: 16.

فالحجاج آلية خطابية يستعملها المخاطِب للتأثير في المخاطَب، يشتغل داخل العملية التواصلية، ويتأسس على «بنية الأقوال اللغوية، وعلى تسلسلها، واشتغالها داخل الخطاب»[1] يعتمد على التراتبية والتسلسل، ويستمد شرعيته من اللغة.

من خلال ما عرضناه يمكن القول بأن الحجاج هو: تقنية تخاطبية، تعتمد على آليات إبلاغية تواصلية من أجل التأثير في المتلقي وإقناعه.

المطلب الثاني: الحجاج والمفاهيم المجاورة

تتقاطع كثير من المصطلحات مع مصطلح الحجاج، وتكاد ترادفه، فهي قريبة منه في كثير من الجوانب، ومن تلك المصطلحات الاستدلال والبرهان.

1 الاستدلال:

يقترب مفهوم الاستدلال من الحجاج ويكاد يكون مرادفا له، غير أن هناك فرقا بينهما فالاستدلال: «هو أن تستنبط من المقدمات نتائج، تفضي إليها المقدمات ضرورة بدون أي لبس»[2]، وهذا ما لا نجده في الحجاج، كون هذا الأخير غير ملزم في نتائجه، ذلك أن «الغاية من العملية الحجاجية هو إشراك المتلقي فيما يعتقده المرسل»[3] وقد ميز بيرلمان بين نوعين من الاستدلال:

1 -1 الاستدلالات التحليلية:

وهي «صورية وتنطلق من مقدمات لا مجال لمناقشتها، سواء كانت بديهية أو صادقة أو مجرد فرضيات، وهي برهانية غير شخصية»[4] وهذا النوع مجاله المنطق.

[1] محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 17.
[2] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، دار الجنوب، تونس، ط01، 2011م، ص: 14.
[3] الحسين بنو هاشم: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط01، 2014م، ص: 34.
[4] المرجع نفسه، ص: 34.

1-2 الاستدلالات الجدلية:

وهي التي «تنطلق من مقدمات غير ملزمة، وتكون مرتكزة على الرأي لا على الحقيقة»[1] وهذا مجاله اللغة الطبيعية، ومن خلال هذا التفريق يتبين لنا أن الاستدلال عام وشامل لنوعين من الطرائق وهي: استدلال صوري، واستدلال طبيعي.

2 البرهان:

كثيرا ما يستعمل البرهان ليدل على الحجاج، وذلك للتقارب الكبير بينهما، ويرى أبو بكر العزاوي أن «الخطاب الطبيعي ليس خطابا برهانيا بالمعنى الدقيق للكلمة، فهو لا يقدم براهين وأدلة منطقية، ولا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي»[2]، فيختلف البرهان عن الحجاج في المجال والآليات، ففي البرهان «النتيجة حتمية ضرورية، فإذا سلمنا بالمقدمتين الكبرى والصغرى وجب التسليم بالنتيجة بشكل منطقي وحتمي وضروري»[3]، في حين أن الحجاج احتمالي وظني.

ويمكن التمثيل لذلك بالمخطط التالي:

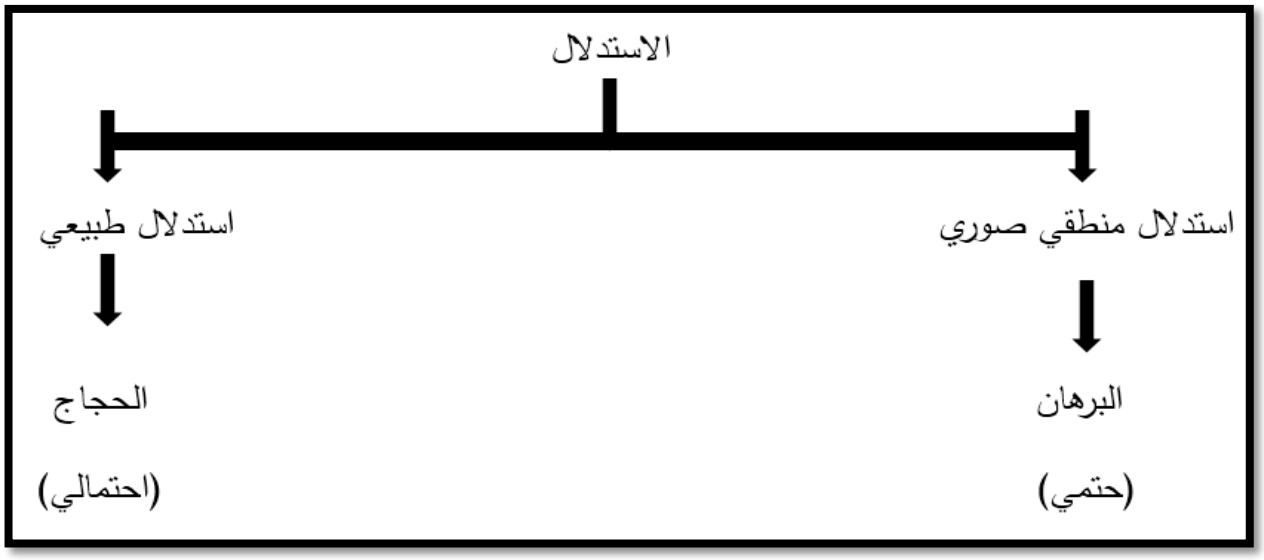

[1] الحسين بنو هاشم: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص: 34.

[2] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص: 17.

[3] أبو بكر العزاوي: الحجاج والبرهان، مجلة روابط، تح: ربيعة برباق، تق: أبو بكر العزاوي، ع01، 02، 2018م، منشورات مؤسسة المثقف، باتنة، الجزائر، ص: 19.

المطب الثالث: الحجاج بنيته وأنواعه

يرتكز الحجاج على ركيزتين أساسيتين (المقدمات والنتائج) في بناء معماره، وتختلف آلياته وبناء حججه ونتائجه بحسب أنواعه.

1 بنية الخطاب الحجاجي:

تقوم بنية الخطاب الحجاجي على فرعين مهمين "المقدمات"، و"النتائج"، وتعمل المقدمات على بناء الحجج وتضافرها؛ لأجل خدمة النتائج، والنتائج هي الفكرة المراد إقناع المخاطَب بها.

1-1 المقدمات:

تمثل المقدمات الدعائم الأساسية في بنية الخطاب الحجاجي، فهي عبارة عن «مفهوم يعين مبادئ مقولة داخل مجموعة لغوية، وهذه المبادئ تكون بمثابة الدعائم للعملية الحجاجية»[1] فهي سبيل المحاجج للوصول إلى إقناع المتلقي واستمالته؛ ذلك أن «للخطاب قبل أن يستوي كيانا مشكلا من تقنيات حجاجية يواجه بها المتكلم لإيقاع التصديق منطلقات حجاجية مدارها على "مقدمات Des prémisses" تؤخذ على أنها مسلمات يقبل بها الجمهور»[2] وتعمل المقدمات على تأطير الحجج وتنظيمها للوصول إلى النتائج، وتنقسم المقدمات إلى:

1-1-1 الوقائع:

ترتبط الوقائع بالعملية الحجاجية وتؤسس لها، لأن «الوقائع لا تكون عرضة للدحض أو الشك، وهي تشكل نقطة انطلاق ممكنة للحجاج»[3]، من خلال استناد الوقائع على الاشتراك

---

[1] جاك موشلار وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من لأساتذة والباحثين، إشراف: عز الدين المجدوب، دار سيناترا، تونس، ط02، 2010م، ص: 340.

[2] عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال «مصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة» لبرلمان وتيتيكاه، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس، (د، ط)، (د، ت)، ص: 307، 308.

[3] المرجع نفسه، ص: 309.

الجمعي بين أفراد المجتمع، «إذ الواقع يقتضي إجماعا كونيا»[1] لا يمكن دحضه، أو رده، أو رفضه.

1-1-2 الحقائق:

ترتبط الحقائق بالوقائع، وتتأسس من خلال العلاقة القائمة بينهما «ومدارها على نظريات علمية أو مفاهيم فلسفية أو دينية»[2]، تستند في الأساس على نظرية أو معرفة علمية أو فلسفية مستمدة من الواقع.

1-1-3 الافتراضات:

تعد الافتراضات قسما حجاجيا «شأنها شأن الوقائع والحقائق تحظى بالموافقة العامة»[3] غير أنها أقل قيمة من سابقاتها؛ لأن «الإذعان لها والتسليم لا يكونان قويين حتى تأتي في مسار الحجاج عناصر أخرى تقويهما»[4]، وتعمل الافتراضات على رفع درجة التسليم لدى المتلقي.

1-1-4 القيم:

تعد القيم قلب المقدمات، ذلك لأن «القيم عليها مدار الحجاج بكل ضروبه»[5]، وهي قسمان: «قيم مجردة وقيم حسية، فالمجردة من قبيل العدل والحق، والمحسوسة من قبيل الوطن»[6]، فالقيم تعمل على التأثير في ذهن المتلقي، كونها جزءا من انتمائه وهويته.

1-1-5 الهرميات:

إن الحديث عن القيم يستدعي حضور الهرميات؛ لأن «القيم ليست مطلقة، وإنما هي

---

[1] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص: 24.
[2] المرجع نفسه، ص: 24.
[3] عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص: 309.
[4] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص: 25.
[5] عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص: 310.
[6] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص: 26.

خاضعة لهرمية ما، فالجميل درجات وكذلك النافع»[1]، وعليه ترتبط القيم في بنيتها بالهرميات وتتحدد من خلال سلميتها.

1-1-6 المواضع:

ترتبط المواضع بالحجج وهي «عبارة عن مخازن للحجج أو مستودعات حجج»[2] يلجأ إليها الخطيب بغية رفع درجة الإقناع؛ باعتبارها «تحدد خصائص الأمم والجماعات الفكرية والأدبية وغير ذلك»[3] يعتمد عليها المتكلم لإقناع المتلقي والتأثير فيه.

1-2 النتائج:

ترتبط النتائج في العملية الحجاجية بالمقدمات في علاقة تلازمية، ذلك أن «الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة»[4]، ومن ثمة كان الحجاج مبنيا على ثنائية حجة/نتيجة، ويقدم المحاجج حججه وفق سلمية معينة غايتها بلوغ نتيجة ما.

ويمكن أن نمثل لبنية الخطاب الحجاجي على النحو التالي:

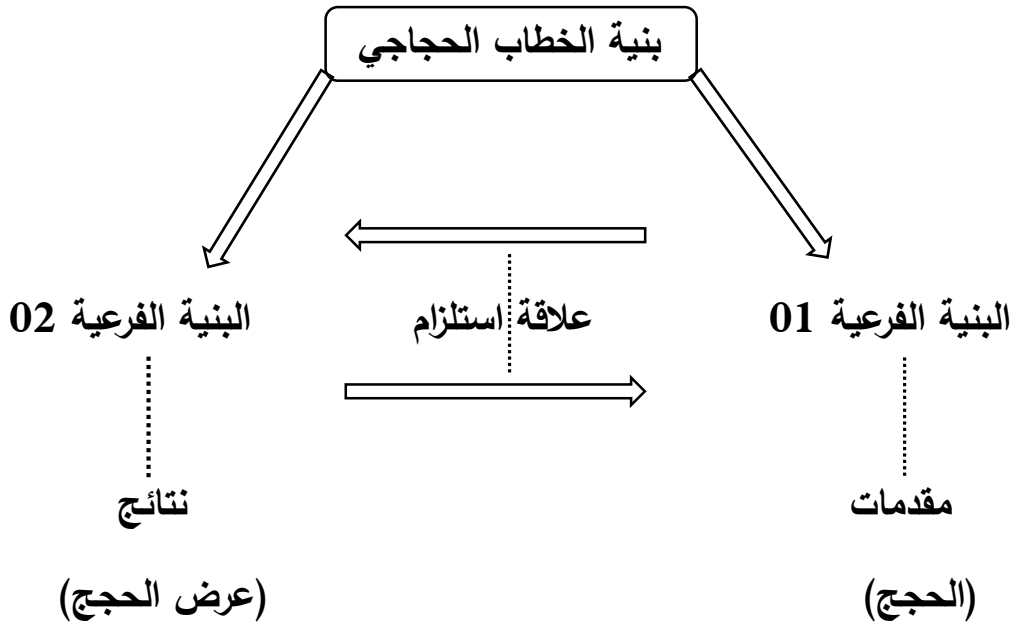

[1] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص: 26.
[2] المرجع نفسه، ص: 26.
[3] عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص: 311.
[4] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص: 16.

2 أنواع الحجاج:

يذهب في تحديد أنواع الحجاج الفيلسوف "طه عبد الرحمان" إلى تقسيمه إلى:

2-1 الحجاج التجريدي:

يقوم هذا النوع على الجانب الشكلي، وهو «الإتيان بالدليل على الدعوى على طريقة أهل البرهان علما بأن البرهان هو الاستدلال الذي يعنى بترتيب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها واستعمالاتها»[1]، فهو لا يهتم بالمضامين ولا بالاستعمال اللغوي بل يكتفي بالجانب الصوري في عملية التدليل والبرهنة على قضية ما.

2-2 الحجاج التوجيهي:

ويكون هذا النوع من الحجاج منصبا على إيصال الحجج من قبل المخاطِب من غير التركيز على المخاطَب وأثر ذلك عليه فهو «إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، علما بأن التوجيه هو هنا فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إلقاؤها لها ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطَب (بفتح الطاء) لها ورد فعله عليها»[2]، ليكون هذا النوع مهتما بالخطاب فقط، وكيفية توجيهه للمخاطَب.

2-3 الحجاج التقويمي:

على عكس الحجاج التوجيهي فإن هذا النوع من الحجاج يركز على ردة فعل المخاطَب ويهتم بها، فهو «إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه، فها هنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب، واقفا عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط، بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلق لما يلقي، فيبني أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن يقوم به، مستبقا استفساراته واعتراضاته مستحضرا مختلف

[1] طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط01، 1998م، ص: 226.
[2] المرجع نفسه، ص: 227.

الأجوبة عليها ومستكشفا إمكانات تقبلها واقتناع المخاطَب بها»[1]، فالمحاجّ هنا يهتم بالمتلقي وبما يكون منه من ردة الفعل، مراعيا في ذلك كله الحال التي يكون عليها المتلقي.

المطلب الثالث: الروابط والسلالم الحجاجية

تعد الروابط والسلام الحجاجية مفاهيم أساسية ترتكز عليها النظرية الحجاجية، ذلك من خلال العمل التنظيمي والتوجيهي لكل منهما.

1 الروابط الحجاجية:

يحمل مفهوم الرابط دلالة الوصل بين جزأين، فإنه «لما كانت اللغة وظيفة حجاجية وكانت التسلسلات الخطابية محددة بواسطة بينة الأقوال اللغوية وبواسطة العناصر والمواد التي تم تشغيلها فقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج»[2] هذه المؤشرات متمركزة داخل البنيات اللغوية، تعمل على انسجام الخطاب الحجاجي، ودورها هو: «الربط الحجاجي بين قضيتين، وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججا في الخطاب»[3]، فتعمل هذه الروابط على وصل أجزاء الملفوظ من جهة، وعلى ترتيب الحجج وفق درجة قوتها وضعفها من جهة أخرى.

ويميز "أبو بكر العزاوي" بين الروابط الحجاجية والعوامل، فالروابط «تربط بين قولين أو بين حجتين على الأصح (أو أكثر) وتسند لكل قول دورا محددا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة، ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لا سيما، إذن، لأن، بما أن إذ...الخ»[4]، فالروابط تعمل على الربط ووصل الحجج بعضها ببعض.

أما العوامل الحجاجية فهي: «لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما وتضم

[1] طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص: 228.
[2] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص: 27.
[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط01، 2004م، ص: 508.
[4] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص: 27.

مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما...إلا، وجل أدوات القصر»[1] فالعوامل يتضح عملها من خلال حصر وتقييد مجموع الإمكانات التي تتوفر عليها المقولات داخل العملية الحجاجية.

2 السلالم الحجاجية:

أخذ مفهوم السلم الحجاجي موقعا مركزيا في الدراسات الحجاجية، وأضحى مفهوما أساسيا داخل النظرية الحجاجية، فالسلم الحجاجي هو «علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالآتي:

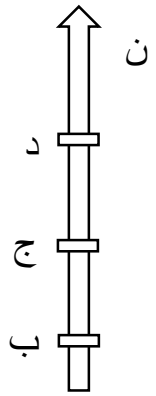

ن: النتيجة، "ب" و"ج" و"د": حجج وأدلة تخدم النتيجة»[2]، فالسلم الحجاجي مفهوم يقوم على مبدأ العلائقية بين الحجج داخل الخطاب، يستلزم بالضرورة أن يكون تراتبها خاضع لقوتها وضعفها.

ويرى "طه عبد الرحمان" أن السلم الحجاجي عبارة «عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية»[3]، وهذا الترتيب ترتيب بحسب القيمة الحجاجية للحجج.

واستخلص أصحاب السلم الحجاجي ثلاثة قوانين أساسية:

[1] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص: 27.

[2] المرجع نفسه، ص: 20.

[3] طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص: 277.

– **قانون الخفض:** يقوم هذا القانون على مسألة النفي والنقيض، «ومقتضى هذا القانون أنه إذا صدق القول في مراتب معينة في السلم فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحته»[1]، وذلك أن قيمة الحجج مرتبطة ضمن علاقة متلازمة.

– **قانون تبديل السلم:** يقوم هذا القانون على التقابل؛ لأنه «إذا كان القول دليلا على مدلول معين فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله»[2]، ذلك أن الحجة هي كل قول يخدم نتيجته، واختلاف الأقوال ينتج عنه اختلاف في المقدمات والنتائج.

– **قانون القلب:** يقوم هذا القانون هو الآخر على مسألة النفي والنقض، ذلك «أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول»[3]، فنفي الأقوال نفي للحجج، وقيمة الحجة الثانية المنفية سيكون أقوى من قيمة الحجة الأولى المثبتة.

[1] طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص: 277.
[2] المرجع نفسه، ص: 277.
[3] المرجع نفسه، ص: 278.

الفصل الثاني: الحجاج في كتاب الحيدة والاعتذار

تمهيد:

يأتي كتاب الحيدة والاعتذار ليعالج مسألة دينية عقدية دارت حول مسألة خلق القرآن وعالجت الاعتقاد الفاسد الذي ظهر مع الفرق الكلامية، ودارت هذه المناظرة بين قطبين كبيرين، وهما: عبد العزيز بن يحي الكناني وبشير غياث المريسي، وجرت المناظرة أمام الخليفة آنذاك، وهو: المأمون الخليفة العباسي، قام كل من المتناظرين بتوظيف مجموعة من الحجج من أجل دعم خطابه، وتقويته، ودحض ادعاء صاحبه، وسنحاول في هذا الفصل أن ندرس طبيعة الحجاج في هذه المناظرة.

يعد كتاب الحيدة والاعتذار من الكتب المهمة في باب المناظرات، احتوى على زخم معرفي، وأسلوب نقدي وحجاجي، فقد حاول كل من المتناظرين الانتصار لما يراه، ويعتقده ويؤمن به. وسنتطرق إلى سيرة الرجلين والحديث عن السياق الذي جرت فيه المناظرة.

1 سيرة المتناظرين:

جمعت مناظرة الحيدة والاعتذار بين قطبين من أقطاب العلم وهما: عبد العزيز الكناني وبشر المريسي.

1-1 عبد العزيز الكناني:

هو عبد العزيز بن يحي بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكناني المكي، ذكره الشيرازي في طبقات الشافعية فقال: «هو عبد العزيز بن يحي الكناني المكي المتكلم، وهو الذي ناظر بشرا المريسي عند المأمون في نفي خلق القرآن، قال داود بن على هو أحد أصحاب الشافعي أخذ عنه وطالت صحبته، واتباعه له، وخرج معه إلى اليمين»[1]، وكان عبد العزيز رجلا دميم الخِلقة حتى لقب بالغول لدمامته[2] وكان رحمه الله قد ذكر ذلك في كتابه "الحيدة والاعتذار" معقبا على من تهكم من دمامته فقال: «سمعت بعض من هاهنا يقول لأمير المؤمنين: يكفيك من كلامه قبح وجهه، فما يضرني قبح وجهي مع ما رزقني الله عز وجل من فهم كتابه، والعلم بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فتبسم المأمون حتى وضع يده على فيه»[3] لقد كان مع قبح منظره عالما فقيه جهبيذا، فاهما لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وذكر له "ابن حجر العسقلاني" ترجمة طويلة في تهذيب التهذيب فقال: «عبد العزيز بن يحي بن عبد العزيز مسلم بن ميمون الكناني المكي صاحب الحسن كان يلقب بالغول، لدمامته روى عن ابن عينية وعبد الله بن معاذ الصنعاني ومروان بن معاوية الفزاري وهشام بن سليمان

---

[1] أبو اسحاق الشيرازي الشافعي: طبقات الفقهاء، تح: إحسان عباس دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ص: 103.

[2] الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: على محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت) ج2، ص: 639.

[3] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، تح: علي بن محمد بن ناصر الفقهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط02، 2002 م، ص: 31.

المخزومي والشافعي... وقال الدراقطني قرأت في كتاب أبي علي الأصبهاني الذي صنفه في فضائل الشافعي فذكر فيه أصحابه الذين أخذوا عنه، وقد كان أحد أتباعه والمقتبسين عنه والمعترفين بفضله عبد العزيز بن يحي الكناني، كان قد طالت صحبته للشافعي وأتباعه وخرج معه إلى اليمن»[1]

وفـــاته:

قد ذكر وفاته الذهبي في "العبر" وذلك سنة أربعين ومئتين[2]

1-2 بشر المريسي:

نقل "ابن كثير" ترجمته في كتابه "البداية والنهاية": «هو بشر بن غياث بن أبي كريمة أبو عبد الرحمن المريسي المتكلم شيخ المعتزلة، وأحد من أظل المأمون، وقال ابن خلكان: جدد القول بخلق القرآن وحكي عنه أقوال شنيعة، وكان مرجئا وإليه تنسب المريسية من المرجئة»[3]، وقال عنه "الذهبي" في "الاعتدال": «تفقه على أبي يوسف فبرع وأتقن علم الكلام ثم جرد القول بخلق القرآن، وناظر عليه ولم يدرك الجهم بن صفوان، وإنما أخذ مقالته واحتج لها ودعا إليها، وسمع من حماد بن سلمة وغيره»[4]، فكان أحد أقطاب المعتزلة المتكلمين وشيخا من مشايخها.

وفـــاته: ذكر الذهبي بأن وفاته كانت سنة ثمان عشرة ومئتين.[5]

2 الحكم:

جرت مناظرة الحيدة أمام حكم له سلطة عليا، هو: «عبد الله المأمون بن هارون الرشيد العباسي القرشي الهاشمي، أبو جعفر، أمير المؤمنين، وأمه أم ولد يقال لها: مراجل الباذغيسية

---

[1] ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (د، ط)، (د، ت)، ج06، ص: 363، 364.

[2] الذهبي: العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زعلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ج1، ص: 341.

[3] ابن كثير: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط08، 1990م، ج10، ص: 281.

[4] الذهبي: الاعتدال، ج1، ص: 322.

[5] المرجع نفسه: ج1، ص: 323.

وكان مولده في ربيع الأول سنة سبعين ومائة ليلة توفي عمه الهادي، وولي أبوه هارون الرشيد، وكان ذلك ليلة الجمعة»[1]، وكان قد انتصر لمذهب المعتزلة في مسألة خلق القرآن «لأنه اجتمع بجماعة منهم بشر بن غياث المريسي فخدعوه وأخذ عنهم هذا المذهب الباطل»[2] وانتصر لهذا المذهب وأضحى محنة كبيرة على المسلمين آنذاك عامة، وعلى العلماء خاصة وكانت سنة مئتين وثمان عشر سنة امتحن فيها المأمون العلماء «وأقام في هذه البدعة قيام معتقد [متعبد] بها»[3] وفي هذه السنة كانت وفاته.

3 سياق المدونة:

دارت أحداث هذه المناظرة حول مسألة خلق القرآن، وهي فتنة عظيمة شهدتها الدولة الإسلامية في زمن الخلافة العباسية، ذكر مكان إقامتها الكناني في كتابه فقال: «اتصل بي وأنا بمكة ما قد أظهره بشر بن غياث المريسي ببغداد من القول بخلق القرآن»[4]، وأورد سبب تأليفه للكتاب ومناظرته لبشر فقال: «ودعائه الناس إلى موافقته على قول مذهبه وتشبيهه على أمير المؤمنين وعامة الناس وما قد دفع الناس إليه من المحنة، والأخذ في الدخول في هذا الكفر والظلالة، ورهبة الناس وفزعهم من مناظرته»[5]، وهذا ما دعا الكناني لمناظرة المريسي وتعلقت المناظرة بمسألة عقدية دينية، ومع ذلك فهي مرتبطة بجانب سياسي أيضا، بل إن ارتباطها بهذا الجانب آكد بقول الكناني: «وتشبيههم على أمير المؤمنين»[6]، فإنه لما بلغ المعتزلةُ الخليفةَ وتأثيرهم فيه استوت الأمور لهم، فألبسوا عليه وعلى الرعية، وهابهم الناس لاتصالهم بالخليفة، ومساندته لهم في ذلك، قال ابن كثير عن المأمون «كان يحب العلم ولم يكن به بصيرة نافذة فيه، فدخل عليه بسبب ذلك الداخل، وراج عنده الباطل، ودعا إليه وحمل الناس عليه قهرا»[7]، فإن المعتزلة ما شهروا بمذهبهم ودعوا الناس إليه حتى تمكنوا من خليفة المسلمين، فأيدهم بسلطانه، وأمدهم من قوته وحكمه.

---

[1] ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص: 274.
[2] المرجع نفسه، ج10، ص: 274.
[3] الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج01، ص: 293.
[4] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 21.
[5] المصدر نفسه، ص: 21.
[6] المصدر نفسه، ص: 21.
[7] ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص: 275.

وتعد مناظرة الحيدة والاعتذار من المناظرات القيمة، جمعت بين الأسلوب النقدي واللغة الرصينة، اعتمد فيها المتحاجّان مجموعة من الحجج والأدلة انبنى عليها خطاب المناظرة ونجد أن الأسلوب الذي اعتمده المتناظران هو أسلوب حجاجي لما تستدعيه طبيعة الخطاب في المحاورات والمناظرات.

المبحث الأول: بنية الخطاب الحجاجي وأنواعه في كتاب الحيدة والاعتذار

المطلب الأول: بنية الخطاب الحجاجي

اعتمد عبد العزيز الكناني وبشر المريسي ترسانة من الحجج في بناء الهيكل العام للخطاب الحجاجي في كتاب الحيدة والاعتذار، وتنوعت طريقة بناء هذا الهيكل، حيث نجد أن العملية البنائية تقوم على تقديم المقدمات (الحجج) قبل النتيجة وأحيانا تتأخر عليها، وتارة تضمر المقدمات أو جزءًا منها وتظهر النتيجة.

1 المقدمات / النتيجة:

تم بناء الهيكل الحجاجي في كتاب الحيدة والاعتذار على هذا الأساس حيث نجده في هذه المواضع:

النوع	الموضع	الصفحة
مقدمات/نتيجة	قال عز وجل: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ {سورة الأنعام، الآية: 19}، فدل على نفسه أنه شيء ليس كالأشياء	35
مقدمات/نتيجة	قال عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ {سورة الأعراف، الآية: 180}، ثم عدد أسماءه في كتابه ولم يتسم بالشيء ولم يجعله اسما من أسمائه.	35
مقدمات/نتيجة	قال عز وجل: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ {سورة الأنعام، الآية: 91}، فذم اليهودي حين نفي أن تكون التوراة شيئا.	36
مقدمات/نتيجة	قال عبد العزيز: قال عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ ﴾ {سورة	36

	الأنعام، الآية: 93}، فدل بهذا الخبر أيضا أن الوحي شيء بالمعنى.	
مقدمات/نتيجة	قال بشر: فليأت بنص التنزيل كما أخذ عليّ وعلى نفسه، أنه ليس كالأشياء، وإلا فقد بطل ما ادعاه وصح قولي إنه مخلوق.	**36**
مقدمات/نتيجة	قال عبد العزيز: ثم ذكر خلق الأشياء كلها فلم يدع منها شيئا إلا ذكره، وأخرج كلامه وقوله وأمره منها ليدل على أن كلامه غير الأشياء وخارج عن الأشياء المخلوقة.	**37**
مقدمات/نتيجة	قال عبد العزيز: يا أمير المؤمنين قد أخبرنا الله عز وجل عن خلق السماوات والأرض وما بينهما، فلم يدع شيئا من الخلق إلا ذكره [...] وهذا نص التنزيل على أن كلام الله غير الأشياء المخلوقة، وليس هو كالأشياء وإنما به تكون الأشياء.	**38**
مقدمات/نتيجة	قال بشر: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك فقد ادعى أن الأشياء إنما تكون بقوله، ثم جاء بأشياء متباينات متفرقات [...] فأكذب نفسه ونقض قوله.	**39**
مقدمات/نتيجة	قال الله عز وجل وقد ذكر كلامه، فقال: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ {سورة التوبة، الآية: 06} ، يعني حتى يسمع القرآن.	**40**
مقدمات/نتيجة	ولكن أمير المؤمنين أطال الله بقاه لما خصه الله به من الفضل والسؤدد، ورزقه من دقة الفهم [...] عقل عن الله عز وجل قوله، وعرف ما أراد به وما عنى به فقبله واستحسنه...	**42، 43**
مقدمات/نتيجة	قال بشر: يا أمير المؤمنين قد أقر بين يديك أن القرآن شيء فليكن عنده كيف "شاء" فقد اتفقنا على أنه شيء، وقال عز وجل بنص التنزيل: إنه ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ {سورة الأنعام الآية: 102}	**43**

مقدمات/نتيجة	قال عبد العزيز: فأخبرنا الله عز وجل أن له علما بقوله: ﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ ﴾ {سورة هود، الآية: 14}، فقلت إن له علما كما قال.	47
مقدمات/نتيجة	قال بشر: قد زعمت أن لله علما، أي شيء علم الله، ومعنى علم الله فقلت: هذا مما تفرد الله بعلمه ومعرفته وحجب عن الخلق جميعا علمه فلم يخبر به ملكا مقربا [...] لأن علم الله أكبر وأوسع وأعظم من أن يعلمه أحد من خلقه.	47
مقدمات/نتيجة	قال بشر: واحدة بواحدة يا أمير المؤمنين، سألني عبد العزيز أن أقول لله علم فلم أجبه، وسألته ما علم الله فلم يجبني فقد استوينا في الحيدة عن الجواب.	52
مقدمات/نتيجة	قال عبد العزيز: فإن أمسك تكلمت وأجبته وكسرت قوله بإذن الله عز وجل، وإن أراد أن يهذي ويروج الكلام إلى قطع المجلس لم أتكلم.	60
مقدمات/نتيجة	قال بشر: نعم هو حرف محكم لا يحتمل معنى غير الخلق وما بين جعل وخلق فرق عندي ولا عند غيري من سائر الناس، ولا عند أحد من العرب، ولا من العجم، ولا يتعارفون الناس ولا يعقلون غير هذا في كلامهم ولغاتهم سواء عندهم قالوا: خلق أو جعل.	61
مقدمات/نتيجة	قال عبد العزيز: يا أمير المؤمنين اسمع قولي فإن "كنت " قلت حقا وإن بشرا قد كفر نفسه ومن قال بمقالته وأحل دمه ودماءهم وانتزعت على كل حرف من كلامي بآية من كتاب الله عز وجل، وإلاّ فدمي حلال وليأمر أمير المؤمنين بضرب عنقي الساعة على رؤوس الأشهاد وإن أتيت على ما قلت ولفظت به بنص لكتاب والتنزيل في كل لفظة وأقمت الشهادة على بشر من كتاب الله وسعني عدل أمير المؤمنين.	63، 64

يتشكل الخطاب الحجاجي من خلال توظيف المقدمات (الحجج) وصولا إلى النتيجة، وذلك لبيان المقاصد من خلال تقديم المقدمات والاهتمام بها، ذلك أن «هذا التدرج في ترتيب الحجج غالبا ما يظهر مواقف المرسل واتجاهه عبر الملفوظات النصية، وبالنتيجة ترتب هذه الحجج بناء على تنظيم الأقوال التي تسبق النتيجة»[1] مما يجعل المتلقي يتهيأ لتقبلها.

قال عبد العزيز الكناني: «قال الله تعالى:﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ {سورة النحل، الآية: 40}، وقال عز وجل ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ {سورة يس، الآية: 82}، وقال عزّ وجل: ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ {سورة البقرة، الآية: 117}، فدل عزّ وجل بهذه الأخبار كلها وأشباه لها كثيرة على أن كلامه ليس كالأشياء وأنه غير الأشياء، وأنه خارج عن الأشياء»[2]

عمد الكنانيّ إلى تقديم حججه والمتمثلة في ثلاث آيات من القرآن الكريم، من مواضع مختلفة، في سور مختلفة ليدلل على نتيجة واحدة وهي أن كلام الله عزَّ وجل ليس كالأشياء.

ومن خلال هذا المقطع نلاحظ أن المقدمات سبقت النتيجة، حيث يمكن تمثيلها على النحو الآتي:

المقدمات (الحجج) ⟸ النتيجة.

$ح_1 + ح_2 + ح_3 = ن$

الآية الأولى + الآية الثانية +الآية الثالثة = كلام الله ليس كالأشياء

الحجج — النتيجة

[1] مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط01، 2015م، ص: 117، 118.

[2] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 37.

والحجة التي اعتمدها الكناني في هذا المقطع هي أن الأشياء لا تكون إلا بأمر الله وقوله سبحانه وتعالى، وذلك أنه سبحانه إذا شاء أن تكون هذه الأشياء (من خلق السماوات والأرض وخلق الإنسان وتصريف الرياح، وإمطار السحب، وغير ذلك) أمر سبحانه وتعالى فكانت كما شاء.

يمكن التمثيل لبنية الخطاب على النحو التالي:

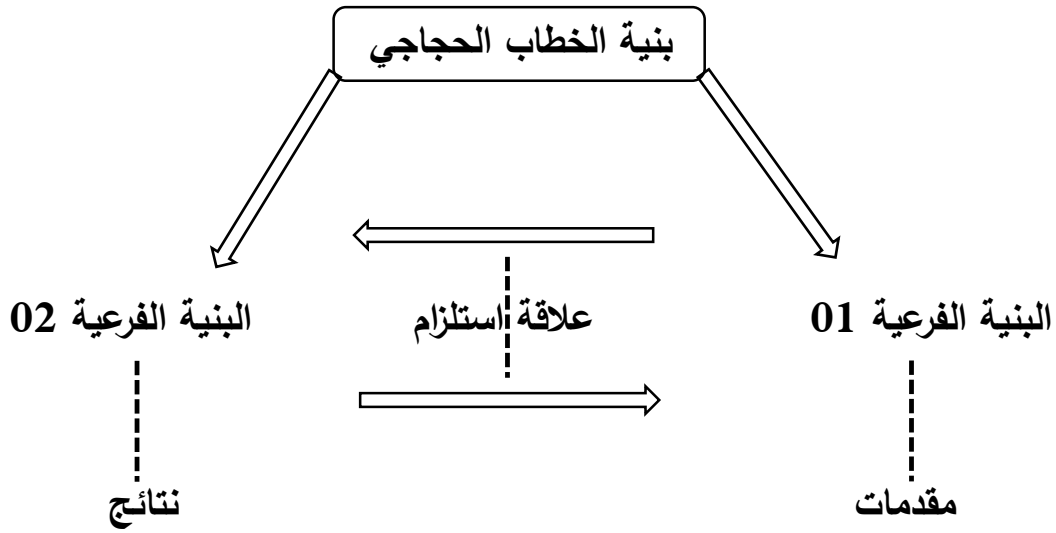

2 النتيجة / المقدمات:

قد يطرح المحاجج النتيجة ثم يتبعها بالأدلة، فتأتي المقدمات بعد النطق بالنتيجة، وقد وجدنا لهذا النمط من البناء الحجاجي في كتاب الحيدة والاعتذار حضورا في المواضع التالية:

النوع	الموضع	الصفحة
نتيجة/مقدمات	قال عبد العزيز: إن الله عز وجل أجرى على كلامه ما أجراه على نفسه إذ كان كلامه من صفاته.	35
نتيجة/مقدمات	قال عبد العزيز: لم يتسم بالشيء ولم يجعل الشيء اسما من أسمائه ولكنه دل على نفسه أنه شيء وأكبر الأشياء إثباتا للوجود ونفيا للعدم.	35

نتيجة/مقدمات	قال عبد العزيز: وأنزل في ذلك خبرا خاصا مفردا لعلمه السابق أم جهما وبشرا ومن قال بقولهما سيلحدون في أسمائه ويشبهون على خلقه، ويدخلونه وكلامه في الأسماء المخلوقة.	35
نتيجة/مقدمات	قال عبد العزيز: قال الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ {سورة الأنعام، الآية: 93}، فدل عز وجل بهذه الأخبار كلها وأشباه لها كثيرة على أن كلامه ليس كالأشياء.	36
نتيجة/مقدمات	قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين قد قلت هذا، وما قلته إلا على صحته، ولا خرجت عن كتاب الله عز وجل ولا قلت إلا ما قال الله عز وجل.	39
نتيجة/مقدمات	قال بشر: أنا وأنت في هذا سواء، أنت تنتزع بآيات من القرآن لا تعلم تفسيرها ولا تأويلها، وأنا أرد ذلك وأدفعه حتى تأتي بشيء أفهمه وأعقله.	42
نتيجة/مقدمات	قال عبد العزيز: يا أمير المؤمنين إنه لم يمدح الله تعالى في كتابه ملكا ولا نبيا ولا مؤمنا بنفي الجل ليدل على إثبات العلم وإنما مدحهم بالعلم فقال عز وجل: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ ﴾ {سورة الانفطار، الآية: 10، 11}، ولم يقل لا يجهلون.	46
نتيجة/مقدمات	قال أمير المؤمنين: يا عبد العزيز أمرك بشر بما نهاك الله عنه وحرم عليك القول به، وأمرك بما أمرك به الشيطان؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: ومن أين لك ذلك؟ قلت: من كتاب الله وكلامه بنص التنزيل.	49
نتيجة/مقدمات	قال عبد العزيز: أنا وبشر على غير السواء في مسألتنا، لأني سألته عما أخبر الله به وشهد به على نفسه وشهدت له الملائكة	52

	[...] وسألني بشر عن مسألة ستر الله علمها عن الملائكة، وأهل ولايته جميعا، وعني وعن بشر...	
نتيجة/مقدمات	قال عبد العزيز: جزاك الله عني يا أمير المؤمنين خاصة وعن رعيتك عامة أفضل الجزاء فقد جلست منا اليوم مجلس الإمام العادل أحسنت إلي حين رأيتني جزعا فسكنت روعتي وآنست وحشتي وبسطت لساني بحجتي وتابعت الحق حين ظهر لك ودافعت وانتصرت له وشهدت لي بثبات الحجة.	**63**
نتيجة/مقدمات	قال عبد العزيز: فقلت: قال الله عز وجل: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًا﴾ {سورة النحل، الآية: 91}1 وقد خلقتم الله عليكم كفيلا، لا معنى لذلك عنده غيره، وإنه ومن قال بقوله ومن خالفه وسائر العرب والعجم يقولون هذا. ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدم، وقد كذب في القول الأول وصدق في قوله إن من قال هذا حلال الدم بإجماع الأمة.	**64**

وهذا لون آخر في بناء الهيكل الحجاجي في مناظرة الحيدة والاعتذار، حيث تم فيه تقديم النتيجة ثم تأتي بعد ذلك الحجج للبرهنة.

قال عبد العزيز الكناني: «يا أمير المؤمنين إن الله عزّ وجل شرّف العرب وكرّمهم بأن أنزل القرآن بلسانهم وجعله مكتتبا على بيانهم فقال عزّ وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ {سورة يوسف، الآية: 02}، وقال عزّ وجل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ {سورة الشعراء، الآيات: 192-195} وقال عزّ وجل: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ {سورة مريم، الآية: 97}»[1]

[1] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 54.

حيث ذهب الكناني في هذا المقطع إلى تقديم النتيجة على الحجج؛ ذلك أن الحجج تتضافر لخدمة «نتيجة واحدة سابقة أو لاحقة»[1]، وأراد الكناني أن يبيّن أن فهم ما جاء به القرآن الكريم إنّما يكون بمعرفة اللغة وذلك من خصال العرب، وأنه سبحانه كرمهم على غيرهم بإنزال هذا الوحي على واحد منهم، وساق الكناني أدلته على تكريم العرب وتشريفهم بأن أنزل عليهم كتابا بلسانهم موافقا لبيانهم.

النتيجة ⟸ المقدمات.

ن = ح1 + ح2 + ح3

تكريم العرب وتشريفهم = إنزال القرآن بلغتهم (الآية الأولى والآية الثانية والآية الثالثة).

ثم قال: «فأنزل الله عزّ وجل القرآن على أربعة أخبار»[2]، وذكر هذه الأخبار الأربعة فقال: فأما الخبر الذي مخرجه ومعناه العموم، فهو قوله عزّ وجل: ﴿وَلَهُۥ وَكُلُّ شَيۡءٍ﴾ {سورة النمل، الآية: 91} فجمع هذا الخبر الخلق والأمر، ولم يبق شيئا إلا وقد أتى عليه.

وأما الخبر الذي مخرجه مخرج الخصوص ومعناه معنى الخصوص، فهو قوله عزّ وجل: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١﴾ {سورة ص، الآية: 71} وقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ﴾ {سورة آل عمران، الآية: 59}، فكان مخرج الخبر لآدم عليه السلام مخرجه مخرج الخصوص ومعناه معنى الخصوص، وكذلك كان مخرج الخبر لعيسى عليه السلام مخرجه مخرج الخصوص ومعناه معنى الخصوص»[3]

ثم قال: «وأما الخبر الذي مخرجه مخرج الخصوص ومعناه معنى العموم فهو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ٤٩﴾ {سورة النجم، الآية: 49} فكان مخرج الخبر خاصا ومعناه عاما.

[1] مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص: 118.
[2] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 55.
[3] المصدر نفسه، ص: 56.

وأما الخبر الذي مخرجه العموم ومعناه الخصوص فهو قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ {سورة الأعراف، الآية: 156} فعقل المؤمنون عن الله عز وجل عند نزول هذا الخبر أنه لم يعن إبليس فيمن تسعه الرحمة لما قدم فيه من الخبر الخاص قبل ذلك وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ {سورة ص، الآية: 85}»[1]

فقد تقدمت النتيجة على الأدلة والحجج التي تخدم هذه النتيجة.

النتيجة ⟸ المقدمات.

ن = ح1 + ح2 + ح3

أقسام القرآن في أخباره الأربعة ⟸ المقدمات

العموم يفيد العموم ⟸ ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾

الخصوص يفيد الخصوص ⟸ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾

الخصوص ويفيد العموم ⟸ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾

العموم يفيد الخصوص ⟸ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾

ونمثل لبنية الخطاب الحجاجي على النحو الآتي:

[1] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 57.

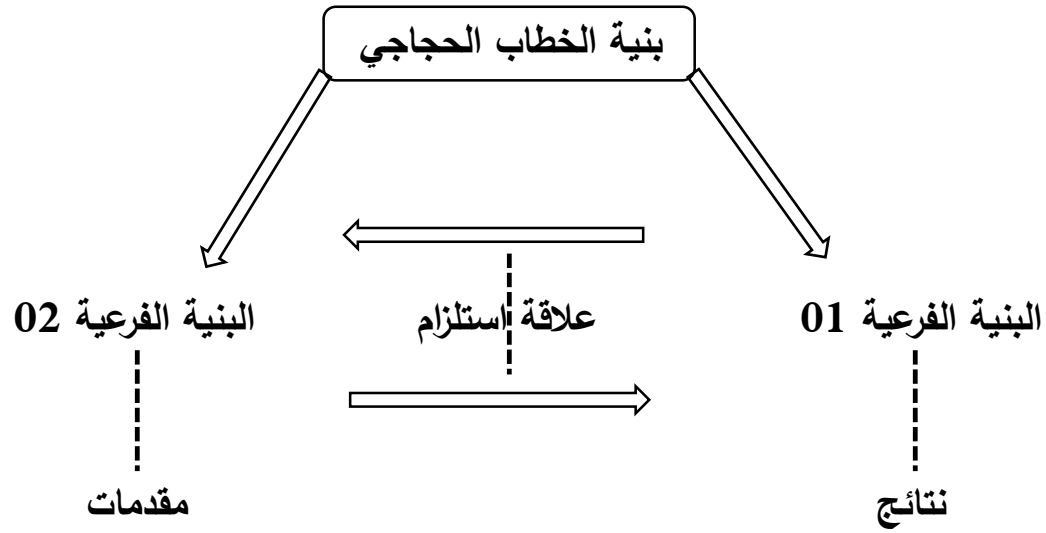

3 إضمار النتيجة:

هذا النوع من البناء الحجاجي قليل جدا في كتاب الحيدة والاعتذار وقد ذكر في:

النوع	الموضع	الصفحة
إضمار النتيجة	قال عبد العزيز: قال الله عز وجل وقد ذكر كلامه، فقال: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ {سورة التوبة، الآية: 06}، يعني حتى يسمع القرآن.	40
إضمار النتيجة	قال بشر: ثم ضرب بشر يده على فخذي وقال: أقبل علي فقد أتيت بما لا تقدر على دفعه ولا على التشبيه فيه لينقطع المجلس بثبات الحجة عليك وإيجاب العقوبة عليك، فإن يكن عندك شيء تتكلم به، وإلاّ فقد قطع الله مقالك وأدحض حجتك، وجعل يصيح، فرحناك في أول ما أردت فأين كلامك واحتجاجك إنه انقطع ذاك وجاء ما يخرس اللسان ويذهب العقل ويحل الدم.	60

وهذا النوع من البناء الحجاجي يعتمد على إيراد الحجج (المقدمات)، وإضمار النتيجة بغية إشراك المتلقي في العملية الحجاجية، فإن «هذه النتيجة التي ينقاد إليها المتلقي من خلال متابعة هذه الحجج، وما ستؤول إليه لأن الحجة لا تكون حجة بالنسبة إلى المتكلم إلا بإضافتها إلى نتيجة»[1]، فالمحاجج «قد يصرح بالنتيجة وقد يخفيها فيكون على المتلقي استنتاجها»[2] وعليه فقد وجدنا أن بشر المريسي اعتمد هذا الأسلوب في حجاجه للكناني حيث أتى بالمقدمات (الحجة) من غير أن يظهر النتيجة وأضمرها حتى سأله الكناني عن ذلك، قال بشر المريسي: «قال الله عزّ وجل:﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ {سورة الزخرف، الآية:03}

قال عبد العزيز: فقلت له: لا أعرف أحدا من المؤمنين إلا وهو يؤمن بهذا ويقول: إن الله جعل القرآن عربيا ولا يخالف ذلك فأي شيء في هذا من الحجة لك والدليل على خلقه.

فقال بشر: وهل في الخليقة أحد يشك في هذا أو يخالف عليّ فيه أن معنى جعلناه خلقناه»[3]

أتى بشر بآية من القرآن لتكون له حجة، ولكن على ماذا؟ إنه يحتج بها على مسألة خلق القرآن لأنه يرى بأن القرآن ليس كلام الله، وإنما هو مخلوق وبذلك تحجج المريسي وأتى بهذه الآية؛ حيث أضمر النتيجة حتى سأله الكناني علام يحتج، فقال له: لأن جعلناه بمعنى خلقناه والهاء تعود على القرآن.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ ⟸ ∅

الحجة النتيجة

ويمكن التمثيل لبنية الخطاب على النحو الآتي:

[1] مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص: 117.

[2] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2011م، ص: 23

[3] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 59، 60.

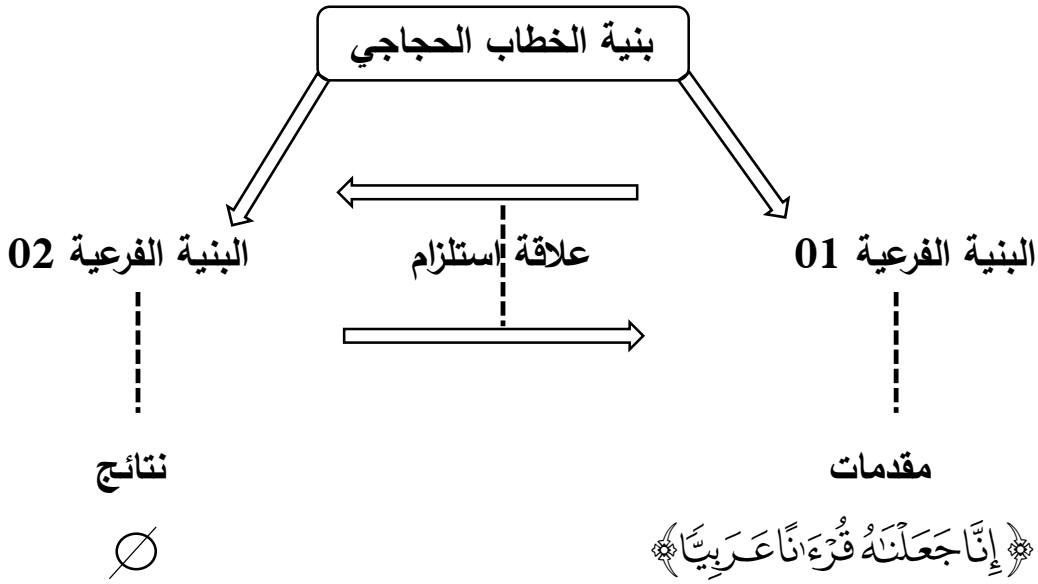

المطلب الثاني: أنواع الحجاج

1 الحجاج التوجيهي:

حضر هذا النوع من الحجاج في مواضع من كتاب الحيدة والاعتذار:

النوع	الموضع	الصفحة
الحجاج التوجيهي	فقلت: يا بشر زعمت أني قد أتيت بأشياء متباينات متفرقات فزعمت أن الله خلق بها الأشياء، فما قلت إلا ما قال الله عز وجل في كتابه.	39
الحجاج التوجيهي	ولكن أمير المؤمنين أطال الله بقاه لما خصه الله به من الفضل والسؤدد، ورزقه من دقة الفهم [...] عقل عن الله عز وجل قوله وعرف ما أراد به وما عنى به فقبله واستحسنه...	42، 43
الحجاج التوجيهي	قال الله عز وجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ {سورة لقمان، الآية: 27}، أتدري يا بشر ما معنى هذا؟ قال: وأي شيء هذا مما نحن فيه [...] يقول: لو أن ما في الأرض من جميع لشجر والخشب...	48

الحجاج التوجيهي	يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك إن القرآن منزل بلسانك وبلسان قومك، وأنت أفهم أهل الأرض بلغة العرب ومعاني كلامها...	60
الحجاج التوجيهي	قال عبد العزيز: أخبرني عمن قال: إن بعض ولد آدم خلقوا القرآن من دون الله أمؤمن هو أم كافر؟ فقال: بل كافر حلال الدم. فقلت: وأنا أقول أيضا هكذا كافر حلال الدم.	62
الحجاج التوجيهي	يا أمير المؤمنين اسمع قولي فإن "كنت " قلت حقا وإن بشرا قد كفر نفسه ومن قال بمقالته وأحل دمه ودماءهم وانتزعت على كل حرف من كلامي بآية من كتاب الله عز وجل، وإلاّ فدمي حلال وليأمر أمير المؤمنين بضرب عنقي الساعة على رؤوس الأشهاد وإن أتيت على ما قلت ولفظت به بنص الكتاب والتنزيل في كل لفظة وأقمت الشهادة على بشر من كتاب الله وسعني عدل أمير المؤمنين.	63، 64

ضرب الكناني مسائل افتراضية على نسق ما فعل بشر فقال: «فلو ورد علي يا أمير المؤمنين ثلاثة نفر "قد تنازعوا" في الكوكب الذي أخبر الله أن ابراهيم عليه السلام رآه بقوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ {سورة الأنعام: الآية: 76} فقال أحدهم: حلفت بالطلاق إنه المشتري وقال الآخر حلفت بالطلاق إنه الزهرة. "وقال الآخر حلفت بالطلاق إنه المريخ" فأفتنا في إيماننا وأجبنا في مسألتنا كان علي أن أجيبهم في مسألتهم وأفتيهم في أيمانهم وذلك مما لم يخبرنا الله به ولا رسوله. فقال المأمون ما ذلك بواجب ولا لك بلازم»[1]، يبرز النمط التوجيهي في هذا المثال، حيث افترض الكناني مسألة من أجل دحض حجة المريسي، وقد تم استعمال أسلوب الافتراض بالأداة "لو" التي تأتي للتمني في معناها البلاغي وهو «حرف امتناع الجواب بسبب امتناع الشرط، والمراد أن

[1] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 37.

الجواب لم يحدث لأن الشرط لم يتحقق»[1]، وما يهمنا هنا أن الامتناع يكون لعدم تحقق الشرط ويتوافق مع الافتراض هنا عدم تحقق الشرط كذلك، كون المسألة من بنات الخيال.

ونلاحظ أن الكناني أقام الافتراض من أجل غاية واحدة وهي توجيه ذهن المتلقي إلى عدم استطاعة الجواب في كل الحالات، إذ إنه يتعذر في بعضها الجواب، وهذا الافتراض دليل قطعي على وجود حالات يجب الإمساك فيها مهما أوتي الإنسان من علم.

2 الحجاج التقويمي:

جاء الحجاج التقويمي في المواضع التالية من كتاب الحيدة والاعتذار:

النوع	الموضع	الصفحة
الحجاج التقويمي	قال عبد العزيز: قال المأمون: دع هذا يا عبد العزيز وارجع إلى ما كنت فيه، وبين ما كنت فيه، واشرحه، واحتج لنفسك	35
الحجاج التقويمي	فصاح المأمون: يا بشر أقبل على صاحبك واسمع منه ودع هذا الضجيج.	39
الحجاج التقويمي	قال عبد العزيز: فلم يقل كما قال الله عز وجل ولا كما قالت الملائكة ولا كما قال المؤمنون، ولا كما قال أهل الكتاب.	42
الحجاج التقويمي	فصاح به المأمون أمسك واسمع الجواب منه عما سألت	61
الحجاج التقويمي	قال عبد العزيز: قال لي المأمون: تكلم يا عبد العزيز بما تريد. فقلت: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك ما خفي عليك حرف واحد مما جرى اليوم في مجلسك ولنعم الحاكم أنت جزاك الله عن رعيتك أفضل الجزاء.	61
الحجاج التقويمي	قال: قل ما تريد، ولا تخاطب بشرا أقبل علي ودعه.	67

[1] أيمن أمين عبد الغني: الكافي في البلاغة البيان والبديع والمعاني، تق: رشدي طعيمة وآخران، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، (د، ط)، 2011م، ص: 355.

قال الكناني: «يا أمير المؤمنين قد قدمت إليك فيما احتججت به إن على الناس كلهم جميعا أن يثبتوا ما أثبت الله، وينفوا ما نفى الله، ويمسكوا عما أمسك الله عنه، فأخبر الله عز وجل أن له علما لقوله: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾ {سورة هود، الآية 14} فقلت: إنه له علما كما قال: وأخبرنا إنه سميع بصير بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ {سورة الشورى الآية 11} فقلت: إنه سميع بصير كما قال. ولم يخبرنا أن له سمعا وبصرا، فقلت: كما قال. وأمسكت عند إمساكه. فأقبل عليهم المأمون فقال: ما هو مشبه فلا تكذبوا عليه»[1] فالحجاج هنا قائم على حجة تقويمية من خلال تقويم سلوك العالم، فالكناني يقيم البناء الحجاجي من خلال إظهاره سلوكه السوي في حديثه عن الذات الإلهية، وأنه لا يتعدى حدود ما أخبر الله به عن ذاته وصفاته، ويتجلى كذلك في بيان أمير المؤمنين لبشر ومن معه وتقويم سلوكهم حين نهاهم عن الكذب على عبد العزيز، وادعائهم بأنه مشبه للصفات.

3 الحجاج التجريدي:

ينطلق المريسي من اعتقاده الذي يقول بأن القرآن شيء وكل الأشياء مخلوقة عنده من دون استثناء، والقرآن شيء عند الكناني مع الاختلاف في الاعتقاد مع المريسي، والشيء المشترك بين المتناظرين هو أن القرآن شيء.

يرى المريسي أن كل الأشياء مخلوقة، فقال: «يا أمير المؤمنين قد أقر بين يديك أن القرآن شيء، فليكن عنده كيف شاء، فقد اتفقنا على أنه شيء، وقال عزّ وجل بنص التنزيل إنه ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ {سورة الأنعام، الآية 102}، وهذه اللفظة لم تدع شيئا إلا استقصت الأشياء، وأثبتت عليها مما ذكر الله تعالى، ومما لم يذكرها، فصار القرآن مخلوقا بنص التنزيل بلا تأويل ولا تفسير»[2]

يرى المريسي أن كلمة (شيء) تجمع كل ما يطلق عليه شيء، وبما أن القرآن شيء فهو مما يدخل في هذه الآية، وهذا القياس صوري «يعتمد على شكل من التسلسل ممثلا في

[1] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 47.
[2] المصدر نفسه، ص: 43.

نتيجة استلزاميه (إن ...ف، إذن) مع أقوال تجمعها علاقة معنى ذات تناظر»[1] ويمكننا أن نمثل لذلك:

- إن الأشياء مخلوقة.
- وإن القرآن شيء.
- (ف، إذن) القرآن مخلوق.

يخالف الكناني ما ذهب إليه المريسي ويرى بأن القرآن لا يدخل تحت هذه الآية، فكلمة شيء لا تجمع تحتها ما توهمه المريسي، وقد استدل على أنه لا يدخل في لفظة شيء كل ما يفهم منها، قال الكناني: «فقلت يا أمير المؤمنين قال الله عزّ وجل: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ {سورة الأحقاف، الآية: 25} يعني الريح التي أرسلت على عاد فهل أبقت الريح يا بشر شيئا لم تدمره؟ قال: لا. لم يبق شيء إلا دمرته، وقد دمرت كل شيء كما أخبر الله تعالى لأنه لم يبق شيء إلا وقد دخل في هذه اللفظة. قلت قد أكذب الله من قال هذا بقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ {سورة الأحقاف، الآية:25} فأخبر عنهم أن مساكنهم كانت باقية بعد تدميرهم ومساكنهم أشياء كثيرة»[2]

يستدل الكناني بالريح التي أخبر الله عنها وعن تدميرها لقوم عاد، ليبين أن لفظة شيء لا تجمع –كما توهمه المريسي– كل ما يسمى بالشيء. واستعمل قياسا صوريا في استدلاله وأوضح عبد الرحمن طه بأن القياس يكون من خلال الربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما[3]، ونمثل لذلك كما يلي:

[1] باتريك شارودو: الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص: 36، 37.
[2] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 43.
[3] طه عبد الرحمان: في أصول الحوار، ص: 98.

م ك: الريح دمرت كل شيء.

م ص: المساكن لم تدمر.

ن: المساكن ليست مما يدخل في مسمى الشيء الذي دمر.

المبحث الثاني: السلالم الحجاجية في كتاب الحيدة والاعتذار

يتأسس السلم الحجاجي على العلاقة الحاصلة بين الحجج القائمة على مبدأ التراتبية فتتراتب هذه الحجج عموديا على السلم الحجاجي بدءًا بالحجة الأضعف وانتهاء بالحجة الأقوى حيث تتضافر هذه الحجج لخدمة نتيجة معينة، ويمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من السلالم الحجاجية:

المطلب الأول: المراتب الكمية

يعتمد السلم في هذا النوع على المقابلة والتماثل بين وحدات السلم، فهذا «الضرب من المراتب في الألفاظ الدالة على معان تقبل التدرج في اتجاه واحد، إما على مقتضى التزايد أو على مقتضى التناقص»[1] ونجد هذا في كتاب الحيدة والاعتذار في هذه مواضع:

النوع	الموضع	الصفحة
المراتب الكمية	قال عبد العزيز: فقلت يا أمير المؤمنين: إنه من ألحد في كتاب الله عز وجل جاحدا أو زائدا لم يناظر بالتأويل، ولا بالتفسير، ولا بالحديث.	33
المراتب الكمية	قال بشر: أنا وأنت في هذا سواء، أنت تنتزع بآيات من القرآن لا تعلم تفسيرها ولا تأويلها، وأنا أرد ذلك وأدفعه حتى تأتي بشيء أفهمه وأعقله.	42

توجه الكناني بالخطاب إلى بشر فقال: «أخبرني عن جعل هذا حرف محكم لا يحتمل غير الخلق، فقال بشر: نعم، هو حرف محكم لا يحتمل معنى غير الخلق، وما بين جعل وخلق فرق عندي ولا عند غيري من سائر الناس، ولا عند أحد من العرب، ولا من العجم، ولا يتعارفون الناس ولا يعقلون غير هذا في كلامهم، ولغاتهم، سواء عندهم قالوا: خلق أو جعل»[2] إذ لا فرق بين جعل وخلق عند المريسي، والتدرج الحصل في الحجج جاء متصاعدًا حيث «إن سيرورة التدرج في السلم الحجاجي نحو الارتفاع، ويأتي من أجل التسليم بالنتيجة من

[1] طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص: 275.

[2] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 61.

خلال الانسجام في هذه الحجج عبر مساراتها التصاعدية، وصولا إلى النهاية (النتيجة) وهذا ما يهدف إليه مرسل الخطاب»[1]، وقد انتقل المريسي في ترتيب حججه تصاعديا فبدأ بنفسه وهذا أضعف الحجج كونه يوافق نفسه وهذا من البديهي، فإنه لا يتصور أن يخالف ما يعتقده وانتقل إلى حجة أقوى من الأولى وهي "سائر الناس" وهذا فيه عموم والناس اسم جامع يدخل فيه كل الأجناس من البشر، ثم انتقل إلى التخصيص وهذا أقوى فقال: "ولا عند أحد من العرب" والعرب أعلم الناس بلغتها، وأفهم لمعانيها، ثم انتقل داخل التخصيص ليضيف قائلا: "ولا عند أحد من العجم" وهذا الانتقال وكأنه يرى بأن جعل حرف محكم عند العرب والعجم على السواء ثم ختم بتأكيد ما ذهب إليه فقال: "ولا يتعارفون الناس ولا يعقلون غير هذا الكلام" وبدأ بالتعارف وثنى بالعقل أي لا يفهمون، وهذا فيه من القوة الحجاجية ما يعلمه المتلقي الكريم.

ففي قول المريسي نجد أن «الألفاظ تدل على معان تقبل التدرج في اتجاه واحد، تزايدا أو تناقصا»[2]، وهذا لأنه بدأ بنفسه وهو أسفل السلم وتدرج تصاعدا ليصل إلى أعلى السلم وهو اتفاق الناس في معنى "جعل"

يمكن التمثيل لهذا النوع على النحو التالي:

ولا يتعارفون الناس ولا يعقلون غير هذا الكلام.

ولا عند أحد من العجم.

ولا عند أحد من العرب.

ولا عند غيري.

لا فرق عندي.

[1] مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص: 120.

[2] جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، عمان، ط01، 2016م، ص: 147.

المطلب الثاني: المراتب المتضادة

تكون الألفاظ في هذا النوع دالة على معان يمكن ترتيبها بين طرفي السلم ترتيبا متباينا[1] ونجد هذا في كتاب الحيدة والاعتذار في هذه مواضع:

النوع	الموضع	الصفحة
المراتب المتضادة	فقال بشر: ما أدري ما تقول ولا أفهمه ولا أعقله ولا أسمعه، ولابد من جواب يفهم ويعقل أنه شيء يعقل أو غير شيء.	34
المراتب المتضادة	قال عبد العزيز: ومثل هذا في القرآن كثير، فما اخترت لنفسك ما اختاره الرسول، ولا ما اختاره المؤمنون، ولا ما اختاره أهل الكتاب ولا ما اختاره الجن لأنفسهم.	35
المراتب المتضادة	قال عبد العزيز: فلما أظهر الله عز وجل اسم كلامه لم يظهره باسم الشيء فيلحد الملحدون في ذلك ويدخلونه في جملة الأشياء المخلوقة، ولكنه أظهره عز وجل باسم الكتاب والنور والهدى.	36
المراتب المتضادة	قال عبد العزيز: وكذلك سمى كلامه بأسماء ظاهرة يعرف بها فسمى كلامه نورا وهدى، وشفاء، ورحمة، وحقا، وقرآنا، وأشباه ذلك.	36
المراتب المتضادة	قال بشر: يا أمير المؤمنين، قد قال إنه خلق الأشياء بقوله وبأمره وبكلامه، وبالحق، فقال المأمون: بلى قد قلت هذا يا عبد العزيز.	39
المراتب المتضادة	قال عبد العزيز: كما سمي كلامه نورا وهدى وشفاء ورحمة وقرآنا وفرقانا، فهذا مثل ذلك، وذلك مثل هذا.	39
المراتب المتضادة	قال عبد العزيز: وإنما ينكر بشر هذا ويستعظمه لقلة فهمه ومعرفته باللغة، ومعنى كلام العرب وألفاظها.	40
المراتب المتضادة	يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك، إنه يحب أن يخطب ويهذي بما لا أعقله، ولا أسمعه، ولا التفت إليه، ولا أتى بحجة، ولا أقبل من هذا شيئا.	42

[1] طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص: 274، 275.

المراتب المتضادة	وبشر يشهد على نفسه إنه لا يعلم ذلك ولا يعقله ولا يقبله ولا هو مما يقوم لي به عليه حجة.	42
المراتب المتضادة	بشر يشهد على نفسه إنه لا يعلم ذلك ولا يعقله ولا يقبله ولا هو مما يقوم لي به عليه حجة.	42
المراتب المتضادة	لقد أخبر الله عز وجل عن جهله، وأزال عنه التذكرة، وأخرجه عن جملة أولى الألباب، لكن أمير المؤمنين أطال الله بقاه لما خصه الله به من الفضل.	42
المراتب المتضادة	لكن أمير المؤمنين أطال الله بقاه لما خصه الله به من الفضل والسؤدد، ورزقه من دقة الفهم وكثرة العلم والمعرفة باللغة عقل عن الله عز وجل قوله.	42، 43
المراتب المتضادة	أو يقولوا لا يسمعوننا حين ندعو ولا ينفعوننا ولا يضروننا فينفوا عن آلهتهم القدرة.	45
المراتب المتضادة	فقلت: إنما تأمرني بما نهاني الله عنه وحرم علي القول به وتأمرني بما أمرني به الشيطان، ولست أعصى الله وأرتكب نهيه وأطيع الشيطان وأتبع أمره وأمرك إذ قد أمرتماني بمعصية الله وارتكاب نهيه.	49
المراتب المتضادة	فخص الله عز وجل العرب بفهمه ومعرفته وفضلهم على غيرهم بعلم أخباره ومعاني ألفاظه وخصوصه وعمومه ومحكمه ومبهمه وخاطبهم بما عقلوه وعلموه، ولم يجهلوه وقبلوه ولم يدفعوه، وعرفوه فلم ينكروه، إذ كانوا قبل نزوله عليهم يتعاملون بمثل ذلك في خطابهم ولغاتهم وكلامهم	54
المراتب المتضادة	قد خطبت وتكلمت وهذيت	59
المراتب المتضادة	ثم أقبل علي المأمون" فقال: يا عبد العزيز تكلم في بيان هذا واذكر الجعل والخلق وفرق بينهما واشرح.	67

قال عبد العزيز: «فحاد بشر عن جوابي وأبا أن يصرّح بالكفر فيقول: ليس لله علم فيكون قد رد نص التنزيل فتتبين ضلالته وكفره، وأبى أن يقول: إن لله علمًا فأسأله عن علم الله هل هو داخل في الأشياء المخلوقة أم لا؟ وعلم ما أريد، وما يلزمه في ذلك من كسر قوله وإبطال حجته، فاجتلب كلاما لم أسأله عنه فقال: معنى علمه إنه لا يجهل»[1]

لقد حاد بشر عن سؤال الكناني حين سأله «افتقر يا بشر أن لله علمًا كما أخبرنا أو تخاف التنزيل»[2]، وعلى هذا أجاب بما لم يسأل فقال: إنه لا يجهل. فقال الكناني: إنه «يا أمير المؤمنين لا يكون الخبر عن المعنى قبل الإقرار بالشيء، وإنما يكون الإقرار بالشيء ثم الخبر عن معناه، فليقر بشر أن لله علما كما أخبرنا في كتابه فإن سألته عن معنى العلم وهذا مما لا أسأله عنه فليجبن أن الله لا يجهل وقد حاد بشر يا أمير المؤمنين عن جوابي»[3]

فالكناني سأل بشر عن مسألة محددة وهي هل لله علم، ولكن المريسي أجاب عن شيء لم يسأل عنه، ويمكن أن نمثل لهذا بالترسيمة التالية:

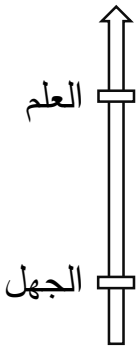

نلاحظ من خلال السلم أن الجهل والعلم «هما بمنزلتين متباينين: عليا / سفلى»[4]، وقد جاءت الألفاظ متضادة من حيث ترتيبها وتباين منزلتها.

[1] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 44.
[2] المصدر نفسه، ص: 44.
[3] المصدر نفسه: ص: 46.
[4] جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، ص: 147.

فالمريسي يرى أن معنى علم الله أنه لا يجهل، وأن نفي الجهل هو إثبات للعلم، أما الكناني فيرى أن نفي الجهل لا يعني إثبات العلم فقال: «إن نفي السوء لا يتثبت به مدحه»[1] وتوجه بالخطاب إلى المأمون فقال: «يا أمير المؤمنين إنه لم يمدح الله تعالى في كتابه ملكًا ولا نبيًا ولا مؤمنًا بنفي الجهل ليدل على إثبات العلم، وإنما مدحهم بالعلم فقال: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ {سورة الانفطار، الآيات: 11، 12}، ولم يقل لا يجهلون»[2]

فإثبات العلم يكون بإثباته لا بنفي الجهل عن الموصوف، ونفي الجهل عنه لا يثبت شيئًا من العلم وهذا ما يراه الكناني، فقال: «فمن أثبت العلم نفي الجهل، ومن نفى الجهل لم يثبت العلم»[3] فالجهل والعلم متمايزان من حيث المنزلة، وليسا متدرجين في اتجاه واحد، ولا بمنزلة واحدة، ويكون الجهل أسفل السلم، والعلم أعلاه، ونفي أسفل السلم لا يثبت أعلاه، ولكن إثبات أعلى السلم ينفي ما دونه.

من خلال السلم نلاحظ أن هناك علاقة متضادة بين الحجج وذلك أن إثبات العلم يقابله نفي للجهل، ولكن نفي الجهل لا يثبت به العلم وهذا يضاد ما جاء به المريسي الذي يرى أن نفي الجهل يثبت العلم.

المطلب الثالث: المراتب القصدية

هذا النوع من السلالم الحجاجية «قد يدخل المراتب، لا على الألفاظ وحدها، بل كذلك على الجمل، فيكون قصد المتكلم عاملا في تحديد اتجاه المراتب التي تنزلها هذه الجمل»[4] ونجد لهذا النوع حضورا في هذه المواضع من كتاب الحيدة والاعتذار:

[1] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 46.
[2] المصدر نفسه، ص: 46.
[3] المصدر نفسه: ص: 46.
[4] طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص: 275.

النوع	الموضع	الصفحة
المراتب القصدية	قال المأمون: وذلك موجود عن الله عز وجل؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ {سورة النساء، الآية: 59}، وهذا تعليم الله عز وجل وتأديبه واختياره لعباده المؤمنين وهو خير وأحسن ما أصله المتنازعون بينهم، وقد تنازعت أنا وبشر يا أمير المؤمنين فنحن نؤصل بيننا كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم كما أمرنا.	32
المراتب القصدية	قال عبد العزيز: قال المأمون: دع هذا يا عبد العزيز وارجع إلى ما كنت فيه، وبين ما كنت فيه، واشرحه، واحتج لنفسك	35
المراتب القصدية	جثا بشر على ركبتيه وجعل يقول: أقر والله يا أمير المؤمنين بخلق القرآن، فأمسكت فلم أتكلم حتى قال لي المأمون: مالك لا تتكلم يا عبد العزيز فقلت: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك، قد تكلم بشر وطالبني بنص التنزيل على ما قلت، وهو المناظر لي فضجيج هؤلاء أي شيء، هو وأنا لم أنقطع ولم أعجز عن الجواب وإقامة الحجة بنص التنزيل كما طالبني، ولست أتكلم في هذا المجلس ويتكلم فيه غير بشر إلا أن ينقطع بشر عن الحجة فيعتزل ويتكلم غيره في مكانه، فصاح المأمون بمحمد بن الجهم وغيره فأمسكوا.	37
المراتب القصدية	فصاح المأمون: يا بشر أقبل على صاحبك واسمع منه، ودع هذا الضجيج، وكان قد قعد منا مقعد الحاكم من الخصوم.	39
المراتب القصدية	قال عبد العزيز: ولا قلت إلا ما قال الله عز وجل، ولا أخبرت إلا بما أخبر الله عز وجل به أنه خلق "مما" يوافق بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا، وكل ما ذكر الله عز وجل إنه خلق ويخلق به الأشياء فهو شيء واحد له أسماء، هو كلام الله، هو قول الله هو أمر الله،	39

	وهو الحق، فقول الله هو كلامه وكلامه هو الحق والحق هو آمره وأمره هو قوله، وقوله هو الحق، وهي أسماء شتى لشيء واحد.	
المراتب القصدية	فقلت: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك، من لا يعقل عن الله ما خاطب به نبيه صلى الله عليه وسلم، وما علمه لعباده المؤمنين في كتابه، ولا يعلم ما أراد الله بكلامه وقوله، يدعي العلم، ويحتج بالمقالات والمذاهب ويدعو الناس إلى البدع والضلالات؟	42
المراتب القصدية	فقلت: إنه سميع بصير كما قال. ولم يخبرنا أن له سمعا وبصرا فقلت: كما قال. وأمسكت عند إمساكه. فأقبل عليهم المأمون فقال: ما هو مشبه فلا تكذبوا عليه.	47
المراتب القصدية	قال عبد العزيز: فكثر تبسم المأمون حتى غطى فمه بيده وأطرق ينكث بيده على السرير.	49
المراتب القصدية	قال بشر: لو ورد عليك اثنان وقد تنازعا في علم الله عز وجل، فحلف أحدهما بالطلاق: إن علم الله هو الله. وحلف الآخر بالطلاق: إن علم الله غير الله، فقالا لك: أفتنا في أيماننا فما كان جوابك لهما. قلت: الإمساك عنهما وتركهما وجهلهما وصرفهما بغير جواب.	50
المراتب القصدية	فأقبل علي المأمون فقال: يا عبد العزيز مالك قد أمسكت أجبه إن كان عندك جواب لمسألته، فقلت: ليس يدعني يا أمير المؤمنين أكلمه من ضجيجه وصياحه، فإن أمسك تكلمت وأجبته وكسرت قوله بإذن الله عز وجل، وإن أراد أن يهذي ويروج الكلام إلى قطع المجلس لم أتكلم.	60
المراتب القصدية	قال عبد العزيز: أخبرني عمن قال: إن بعض ولد آدم خلقوا القرآن من دون الله أمؤمن هو أم كافر؟ فقال: بل كافر حلال الدم. فقلت: وأنا أقول أيضا هكذا كافر حلال الدم.	62

المراتب القصدية	قال عبد العزيز: فأقبلت على المأمون فقلت: يا أمير المؤمنين قد أقر بشر إنه كافر حلال الدم، وكل من قال بقوله ووافقه على مذهبه، وعلمت إني قد أخطأت، وأطرق المأمون إطراق مغضب	63
المراتب القصدية	قال عبد العزيز: يا أمير المؤمنين اسمع قولي فإن "كنت " قلت حقا وإن بشرا قد كفر نفسه ومن قال بمقالته وأحل دمه ودماءهم وانتزعت على كل حرف من كلامي بآية من كتاب الله عز وجل، وإلا فدمي حلال وليأمر أمير المؤمنين بضرب عنقي الساعة على رؤوس الأشهاد.	63
المراتب القصدية	قال: "فقال لي: هات ما عندك ولا تطل الكلام بغير حجة.	64
المراتب القصدية	قال عبد العزيز: "فأقبل علي المأمون فقال: حسبك يا عبد العزيز قد أقر بشر على نفسه بالكفر وإحلال الدم وأشهد على نفسه بذلك وقد صدقت في كل ما قلت، ولكنه قال ما قال وهو لا يعقل ولا يعلم ما عليه في ذلك وهذا شيء يلزمه في نفسه خاصة ولا يلزم غيره ممن لا يقر بمثل ما أقر به ولا يحكم به على غيره بمثل ما حكم به بشر على نفسه.	66

قال عبد العزيز: «قال الله عزّ وجل وقد ذكر كلامه فقال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ {سورة التوبة، الآية: 06} يعني حتى يسمع القرآن لأنه لا يقدر أن يسمع كلام الله من الله، وإنّما عنى القرآن لا خلاف بين أهل العلم واللغة في ذلك»[1]، فإن التوجيه القصدي هنا يظهر من خلال ما قصده الكناني في توجيه ذهن المتلقي فإنه لما كان يستحيل أن يسمع الناس كلام الله من الله فإنهم سيسمعونه من نبيه صلى الله عليه وسلم.

[1] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 40.

ونجده في موضع آخر يقول: «فأنا والله يا أمير المؤمنين أعلم أن الذي أنزل عليه صلى الله عليه وسلم هو الحق، وأومن به، وبشر يشهد على نفسه إنه لا يعلم ذلك ولا يعقله ولا يقبله ولا مما يقوم لي به عليه حجة، فلم يقل كما قال الله عزّ وجل، ولا كما علم نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقوله، ولا كما قال موسى عليه السلام، ولا كما قالت الملائكة، ولا كما قال المؤمنون ولا كما قال أهل الكتاب، ولقد أخبر الله عن جهله، وأزال عنه التذكرة، وأخرجه عن جملة أولى الألباب، لكن أمير المؤمنين أطال الله بقاه لما خصه الله به من الفضل والسؤدد، ورزقه من دقة الفهم وكثرة العلم والمعرفة باللغة عقل عن الله عز وجل قوله، وعرف ما أراد به وما عنى به فقبله واستحسنه ممن انتزعه بين يديه وأظهر قبوله والرضاء بقوله»[1]

نلاحظ من خلال ما ورد هنا أن الكناني اعتمد في حجاجه توجيها قصدا؛ من خلال التفاوت الحاصل بين وصفه للمريسي ووصفه لأمير المؤمنين، «فهاتان الجملتان في مرتبتين متفاوتتين بموجب القصد الذي للمتكلم»[2]، ذلك أن قوله: "لكن أمير المؤمنين أطال الله بقاه لما خصه الله به من الفضل والسؤدد، ورزقه من دقة الفهم وكثرة العلم والمعرفة باللغة عقل عن الله عز وجل قوله، وعرف ما أراد به وما عنى به فقبله واستحسنه ممن انتزعه بين يديه وأظهر قبوله والرضاء بقوله" متفاوتة من حيث المرتبة في قوله: "وبشر يشهد على نفسه إنه لا يعلم ذلك ولا يعقله ولا يقبله"

فالكناني جعل مدار حجته هنا مبنيا على التوجيه القصدي؛ فإن كان أمير المؤمنين فهم وقبل حجته فإن بشر أولى أن يقبلها.

[1] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 42.

[2] جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، ص: 148.

المبحث الثالث: أنواع الحجج في كتاب الحيدة والاعتذار

يعتمد المخاطِب لإقناع المخاطَب والتأثير فيه على جملة من الحجج يدعم بها رأيه ويبرر بها مذهبه وينتصر بها لما يعتقده، وتتنوع الحجج وتختلف تبعا للموضوع، وتنقسم الحجج إلى أنواع هي:

المطلب الأول: الحجج شبه المنطقية

تعد الحجج شبه المنطقية قريبة من المنطق الصوري تشبهه ولكن لا تطابقه «تستمد الحجج شبه المنطقية قوتها الإقناعية من مشابهتها للطرائق الشكلية "Formelle" والمنطقية والرياضية في البرهنة لكن هي تشبهها فحسب وليست هي إياها، إذ في هذه الحجج شبه المنطقية ما يثير الاعتراض فوجب من أجل ذلك تدقيقها»[1] فالحجج شبه المنطقية تنطلق من التشابه القائم بينها وبين الطرائق المنطقية وتستمد قوتها منها.

ويندرج ضمن هذا النوع ما يلي:

1 التناقض والتعارض:

كثيرا ما يلجأ المحاجّ إلى إيراد حجته على نمط ظاهره متناقض، والتناقض هو «أن تكون هناك قضيتان في نطاق مشكلتين إحداهما نفي للآخر ونقض لها»[2]، ونجد هذا النوع في كتاب "الحيدة والاعتذار" في المواضع التالية:

النوع	الموضع	الصفحة
التناقض والتعارض	قال بشر: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك فقد ادعى أن الأشياء إنما تكون بقوله، ثم جاء بأشياء متباينات متفرقات فزعم أن الله عز وجل يخلق بها الأشياء فأكذب نفسه ونقض قوله ورجع عما ادعاه من حيث لا يدري.	39

[1] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، ص: 42.

[2] المرجع نفسه: ص: 42، 43.

التناقض والتعارض	قال بشر: يا أمير المؤمنين، قد قال إنه خلق الأشياء بقوله وبأمره، وبكلامه، وبالحق، فقال المأمون: بلى قد قلت هذا يا عبد العزيز.	39
التناقض والتعارض	قال عبد العزيز: وإن هذه أسماء شتى لشيء واحد، وهو الشيء الذي به خلق الأشياء وهو غير الأشياء، وخارج عن الأشياء وغيره داخل في الأشياء، ولا هو كالأشياء وبه تكون الأشياء وهو كلامه، وهو قوله، وهو أمره، وهو الحق.	42

قال عبد العزيز: «سألت عن القرآن أهو شيء أم غير شيء، وإن كنت تريد أن الشيء اسم له وأنه كالأشياء فلا»[1] نلاحظ أن الكناني أجاب عن سؤال بشر حين سأله: «تقول القرآن شيء أم غير شيء، فإن قلت إنه شيء أقررت إنه مخلوق إذ كانت الأشياء مخلوقة بنص التنزيل، وإن قلت إنه ليس بشيء فقد كفرت لأنك تزعم أنه حجة الله على خلقه وإن حجة الله ليس بشيء»[2]، حاول بشر أن يضع أمام الكناني خيارين إحداهما الاعتراف بخلق القرآن والثاني الكفر، ولكن الكناني أجابه: إن القرآن شيء وليس بشيء، وبنى حجته على مبدأ التعارض ففي نظر المريسي أنه لا يعقل أبدا أن يكون القرآن شيء وغير شيء في الوقت نفسه.

إلا أن الكناني احتج لنفسه ورد سبب الجمع بينهما، فإن القرآن شيء إذا أريد إثباته ونفي للعدمية عنه، فإذا أريد إطلاق الشيء تسمية له ومشابهته لغيره من الأشياء الأخرى فإن ذلك لا يكون وهو متعذر في حق القرآن، وذلك أن الأشياء الأخرى مخلوقة والقرآن الكريم كلام الله ليس بمخلوق.

2 التعريـف:

يكون التعريف بإقامة التقابل بين المعرَّف والمعرِّف حيث «يقوم المرء باستعمال حجاجي للتطابق حين يدعى بفضل تعريف ما أن المعرَّف يتطابق مع المعرِّف»[3] ويستند هذا التعريف

[1] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 46.
[2] المصدر نفسه: ص: 47.
[3] الحسن بنو هاشم: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص: 62.

على التعويض «فالتعريفات تسعى إلى التعامل مع اللفظ المعرف والعبارة التي تعرفه على أنهما قابلان لأن يعوض أحدهما الآخر»[1] وعلى هذا يستمد التعريف قوته الحجاجية من خلال هذا التقابل الحاصل بين المعرَّف والمعرِّف وذلك التعويض الذي يستند على التطابق.

مما نجده في كتاب الحيدة والاعتذار ما ورد في تعريف القرآن الكريم يقول عبد العزيز: «فلمّا سَلَّم الإمام من صلاة الجمعة، وثبت قائما على رجلي ليراني الناس ويسمعوا كلامي ولا تخفى عليهم مقالتي، وناديت بأعلى صوتي لابني، وكنت قد أقمت ابني بحيالي عند الأسطوانة الأخرى، فقلت له يا بني ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله غير مخلوق»[2]

فقد سأل الكناني ابنه عن ماهية القرآن وما هو وما تعريفه فأجابه: كلام الله غير مخلوق.

ونمثل لذلك على النحو التالي:

القرآن: كلام الله غير مخلوق

المعرَّف ⟺ المعرِّف

فالقرآن: معرَّف

وجملة "كلام الله غير مخلوق": معرِّف

فجملة المعرِّف تقابل لفظة المعرَّف، فالتعريف حجة من خلال التطابق الواقع بينهما فجملة المعرِّف تعوض لفظة المعرَّف وتنوب عليها داخل بنية الخطاب.

3 التعدية والتضمين والتقسيم:

تندرج هذه الحجة ضمن البنى الشكلية وهي:

[1] الحسن بنو هاشم: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص: 62.

[2] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 36.

3-1 التعدية:

تنطلق هذه الحجة من الخاصية الشكلية الصورية وتندرج تحتها فهي «خاصية شكلية تتصف بها ضروب من العلاقات التي تتيح لنا أن نمر من إثبات أن العلاقة الموجودة بين "أ و**ب**" من ناحية و"ب وج" من ناحية أخرى هي علاقة استنتاج وأن العلاقة نفسها موجودة بالتالي بين "أ وج"»[1] فتتعدى العلاقة من "أ" إلى "ج" من خلال تطابق العلاقة بين "أ وب" و "ب وج"

وقد ورد هذا النوع في كتاب الحيدة والاعتذار في المواضع التالية:

النوع	الموضع	الصفحة
التعدية	فقلت: يا أمير المؤمنين، قال الله عز وجل: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ {سورة الأحقاف، الآية 25} يعني الريح التي أرسلت على عاد، فهل أبقت الريح يا بشر شيئا لم تدمره، قال: لا لم يبق شيء إلا دمرته، وقد دمرت كل شيء كما أخبر الله تعالى لأنه لم يبق شيء إلا وقد دخل في هذه اللفظة. قلت: قد أكذب الله من قال هذا بقوله: ﴿فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ {سورة الأحقاف، الآية 25}، فأخبر عنهم أن مساكنهم كانت باقية بعد تدميرهم، ومساكنهم أشياء كثيرة.	43
التعدية	قال عبد العزيز: أخبرني عمن قال: إن بعض ولد آدم خلقوا القرآن من دون الله أمؤمن هو أم كافر؟ فقال: بل كافر حلال الدم. فقلت: وأنا أقول أيضا هكذا كافر حلال الدم.	62

[1] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، ص: 46.

التعدية	قلت: فأخبرني عمن قال من أن التوراة خلقها اليهود من دون الله تعالى أمؤمن هو أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم، فقلت: وأنا أقول أيضا هكذا كافر حلال الدم. قلت: فأخبرني عمن قال: إن بني آدم خلقوا الله، وأن الله أخبر بذلك. أمؤمن هو أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم قلت: وأنا أقول أيضا مثل ذلك.	62
التعدية	فأخبرني يا بشر أليس الله خلق الخلق كلهم أجمعين؟ قال: بلى. قلت: فهل شاركه في خلقهم أحد؟ قال: لا. قلت: فمن قال إن بعض بني آدم خلقوا الله أمؤمن هو أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم. قلت: وأنا هكذا أقول.	62
التعدية	أخبرني عمن زعم إن بعض بني آدم خلقوا الملائكة من دون الله تعالى أمؤمن هو أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم. فقلت: وأنا أقول هكذا أيضا. قلت: أخبرني عمن زعم إن بعض بني آدم خلقوا لله شركاء أمؤمن أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم. قلت: وهكذا أقول أنا أيضا.	63

قال عبد العزيز: «إن الله عزّ وجل أجرى على كلامه ما أجرى على نفسه إذ كان كلامه من صفاته فلم يتسم بالشيء ولم يجعل الشيء اسما من أسمائه، ولكنه دلَّ على نفسه أنه شيء و أكبر الأشياء إثباتا للوجود ونفيا للعدم قال عزّ وجل: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ {سورة الأنعام، الآية: 19} فدلّ أنه شيء ليس كالأشياء وقال عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ {سورة الشورى، الآية: 11}»[1] فالله عزّ وجل أجرى على

[1] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 35.

كلامه ما أجراه على نفسه وبرر الكناني ذلك فقال: لأن كلامه من صفاته، وعليه يمكن التمثيل لذلك:

"**أ – ب**"، "**ب – ج**"، إذن "**أ –ج**"، إذا تم التسليم بالعلاقة بين "**أ – ب**" وبين "**ب –ج**" فإنه يستلزم التسليم بالعلاقة بين "**أ –ج**".

القرآن – الله

أ – ب

الله – شيء إثباتا للوجود ونفيا للعدم، وهو ليس كالأشياء ولا يشبههم وخارج عنهم.

ب – ج

العلاقة "**أ – ب**" مبررة بقوله: "إن الله أجرى على كلامه ما أجراه على نفسه، لأن كلامه من صفاته"

والعلاقة بين "**ب –ج**" مبررة بنص التنزيل.

والتسليم بالعلاقة بين "**أ – ب**" و "**ب – ج**" يستلزم التسليم بالعلاقة بين "**أ – ج**" ومنه:

القرآن – شيء إثباتا للوجود ونفيا للعدم. وهو ليس كالأشياء ولا يشبههم وخارج عنهم.

أ – ج

3-2 التضمين:

يعد التضمين حجة تتدرج ضمن علاقات التعدية وهو «العلاقة المنطقية التي تبين أن قضية ما تتضمن قضية أخرى، ويبدو هذا خاصة في الاستدلال القياسي»[1] ونجد لهذا النوع حضورًا في كتاب الحيدة والاعتذار، قال عبد العزيز: «قال الله عزّ وجل وقد ذكر كلامه فقال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ {سورة التوبة، الآية:06}

[1] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، ص: 47.

يعني حتى يسمع القرآن لأنه لا يقدر أن يسمع كلام الله من الله، وإنّما عنى القرآن لا خلاف بين أهل العلم واللغة في ذلك»[1] فالكناني يستدل بالتنزيل من أجل إثبات أن القرآن كلام الله ولكن الآية لم تذكر لفظة القرآن صراحة ولكنها قصدته إذ لا خلاف بين أهل العلم واللغة في ذلك كما قال الكناني.

ويمكن أن نمثل لذلك:

- لا يقدر أحد أن يسمع كلام الله من الله بل عبر الرسل والوحي.
- ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾
- المنزل على الرسول كلام الله وهو القرآن الكريم.

رغم أن الآية الكريمة لم تذكر القرآن صراحة إلا أنها قصدته بالوصف، وذلك أن القرآن هو كلام الله.

3-3 التقسيم:

وذلك من خلال تقسيم الكل المجمل إلى وحدات حجاجية تنطوي تحته وتسمى بحجج التقسيم أو التوزيع،[2] وقد ورد التقسيم في كتاب الحيد والاعتذار في هذه المواضع:

النوع	الموضع	الصفحة
التقسيم	فقال عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ {سورة الأعراف، الآية: 54}	37

[1] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 40.

[2] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، ص: 48.

	فجمع في هذه اللفظة الخلق كله، ثم قال: والأمر، يعني الأمر الذي كان به هذا الخلق، ففرق عز وجل بين خلقه وبين أمره.	
التقسيم	هو شيء واحد له أسماء، هو كلام الله، هو قول الله، هو أمر الله، وهو الحق، فقول الله هو كلامه وكلامه هو الحق، والحق هو آمره، وأمره هو قوله، وقوله هو الحق، وهي أسماء شتى لشيء واحد، كما سمي كلامه نورا وهدى وشفاء ورحمة وقرآنا وفرقانا، فهذا مثل ذلك، وذلك مثل هذا.	52
التقسيم	وإن هذه أسماء شتى لشيء واحد، [...] وهو كلامه، وهو قوله وهو أمره، وهو الحق.	55

قال عبد العزيز: «قال عزّ وجل: ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ ﴾ {سورة الدخان، الآيات: 01-04} يعني القرآن، فأخبر الله أن القرآن أمره، وأن أمره القرآن، وقال عزّ وجلك ﴿ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡ﴾ {سورة الطلاق، الآية: 05} يعني القرآن فقد أخبر الله أن القرآن أمره وأمره القرآن وإن هذه أسماء شتى لشيء واحد، وهو الشيء الذي به خلق الأشياء، وهو غير الأشياء وخارج عن الأشياء، وغير داخل في الأشياء، ولا هو كالأشياء وبه تكون الأشياء وهو كلامه وهو قوله وهو أمره وهو الحق، وهذا نص التنزيل بلا تأويل ولا تفسير»[1]

لقد احتج الكناني على مذهبه واستدل بالتنزيل على أن القرآن الكريم هو كلام الله وساق أدلته، وكانت هذه الأدلة تتضمن مسميات غير القرآن وغير كلام الله كالأمر، والقول، والحق وبيّن أن هذه المسميات تعود لشيء واحد وهو القرآن، وقد قسم الكل وهو الاسم المجمل إلى أجزاء، ويمكن أن نمثل لذلك:

[1] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 41، 42.

القرآن
- كلام الله
- القول
- الأمر
- الحق

المطلب الثاني: الحجج المؤسسة على بنية الواقع

ينطلق المحاجج في هذا النوع من الحجج مستخدما الحجج للربط بين أحكام مسَلَّم بها وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة مسلَّما بها[1].

ومن بين الحجج التي تنضوي تحت هذا النوع نجد:

1 الوصل السببي:

يعد الوصل السببي أحد تقنيات الحجاج ويهدف إلى الربط بين حدثين متتابعين، أو استخلاص السبب من الحدث أو بناء تكهني بما سيكون من نتائج[2]، وقد ورد هذا النوع من الحجاج في المواضع التالية:

النوع	الموضع	الصفحة
الوصل السببي	وقال الله عز وجل بنص التنزيل: إنه ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ {سورة الأنعام، الآية 102} وهذه لفظة لم تدع شيئا إلا أدخلته في الخلق ولا يخرج عنها شيء ينسب إلى الشيء لأنها لفظة	43

[1] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، ص: 49.

[2] عبد العالي قادا: بلاغة الإقناع، دار كنوز المعرفة، عمان، ط01، 2016م، ص: 171.

	استقصت الأشياء وأتت عليها مما ذكر الله تعالى ومما لم يذكرها فصار القرآن مخلوقا بنص التنزيل بلا تأويل ولا تفسير	
الوصل السببي	وأبى أن يقول: إن لله علما، فأسأله عن علم الله هل هو داخل في الأشياء المخلوقة أم لا؟	44
الوصل السببي	فإن قال: نعم فقد دخل في الأشياء المخلوقة فقد شبه الله يا أمير المؤمنين بخلقه الذين أخرجهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا.	46
الوصل السببي	وإن قال إن علم الله خارج عن جملة الأشياء وغير داخل فيها كما أن قوله خارج عن الأشياء وغير داخل فيها، فمن ثم ترك قوله وضل يا أمير المؤمنين وثبتت عليه الحجة فيها.	47
الوصل السببي	سألني عبد العزيز عن مسألة فلم أجبه، وسألته عن مسألة فلم يجبني عنها، وقد قال ذلك، وأنا وبشر يا أمير المؤمنين على غير السواء في مسألتنا، لأني سألته عما أخبر الله به وشهد به على نفسه وشهدت له الملائكة به، وتعبد الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وسائر الخلق بالإيمان.	52

قال عبد العزيز: «فقلت لبشر ما رأيت أعجب من هذا تسألني وتجيب نفسك عني وتكفرني ولم تسمع كلامي ولا قولي فإن كنت سألت لأجبينك، فأسمع مني فإني أحسن أن أجيب عن نفسي وأحتج عن مقالتي ومذهبي، وإن كنت إنما تريد أن تخطئني وتتكلم لتدهشني وتنسيني حجتي فلن أزداد بتوفيق الله إياي إلا بصيرة وفهما، وما أحسبك إلا وقد تعلمت شيئا أو سمعت قائلا يقول هذه المقالة التي قلتها أو قرأتها في كتاب أنت تكره أن تقطعها حتى تأتي على آخرها»[1]

[1] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 33.

ضم هذا المقطع في بنيته الحجاجية ثلاثة ضروب من الحجاج:

– حجاج يرمي إلى الربط بين حدثين متتابعين بواسطة رابط سببي[1] وذلك في قوله: "فإن كنت سألت لأجيبك فاسمع مني" وذلك أن السماع والإجابة حدثان متتابعان، وانتقل من السبب إلى النتيجة ومن النتيجة إلى السبب، فالسماع كان لأنه سأل، وسأل فكان عليه أن يسمع.

– حجاج يرمي إلى أن نستخلص من حدث ما وقع سبب أحدثه وأدى إليه[2] وذلك في قوله: "فاسمع مني فإنني أحسن أن أجيب عن نفسي وأحتج عن مقالتي ومذهبي" والحدث دعوته لسماع إجابته والسبب أنه يحسن الكلام عن نفسه.

– حجاج يرمي إلى التكهن بما سينجر عن حدث ما من نتائج[3] وذلك في قوله: " وما أحسبك إلا وقد تعلمت شيئا أو سمعت قائلا يقول هذه المقالة التي قلتها أو قرأتها في كتاب أنت تكره أن تقطعها حتى تأتي على آخرها" فجعل سبب عدم قطعه لما قاله أنه سمعه من أحدهم أو قرأه في كتاب ما.

2 حجة الاتجاه:

تقوم هذه الحجة على بنية التحذير من مغبة اتباع سياسة المراحل التنازلية أو التحذير من انتشار ظاهرة معينة[4]، ومما ورد في كتاب الحيدة والاعتذار

النوع	الموضع	الصفحة
الاتجاه	فصاح المأمون بمحمد بن الجهم وغيره فأمسكوا.	37

[1] عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال «مصنف في الحجاج–الخطابة الجديدة» لبرلمان وتيتيكاه، ص: 332.

[2] المرجع نفسه، ص: 332.

[3] المرجع نفسه، ص: 332.

[4] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، ص: 51.

الاتجاه	فصاح المأمون: يا بشر أقبل على صاحبك واسمع منه، ودع هذا الضجيج.	39
الاتجاه	فصاح به المأمون أمسك وأسمع الجواب منه عما سألت.	61

قول عبد العزيز: «صدقت إنك لا تفهم ولا تعقل ولا تسمع ما أقول ولقد وصفت نفسك بأقبح الصفات»[1] وقد وصفه بما ذمَّ به نفسه واستدل على وصفه به في ذمّ المشركين حتى قال: «قال المأمون: دع هذا يا عبد العزيز وارجع إلى ما كنت فيه وبين ما كنت فيه، واشرحه واحتج لنفسك»[2]، نلاحظ أن المأمون توجّه بخطاب إلى الكناني وخاطبه بفعل الأمر "دع هذا" وذلك لكيلا تخرج الأمور عما جيء لأجلها، وتحذيرا من انتشار الجدال والمراء.

وقال: «فصاح المأمون يا بشر أقبل على صاحبك واسمع منه، ودع هذا الضجيج، وكان قد قعد منا مقعد الحاكم من الخصوم»[3]، فجاء خطاب المأمون وهو الحاكم بين المتناظرين بالأمر، وقد كان بشر يصيح فأمره المأمون بالإقبال والاستماع إلى الكناني، وترك الضجيج لأن هذا يخرج المناظرة عن أدبها ومسارها.

3 الاتصال الرمزي:

ويعد الاتصال الرمزي حجة مبنية على الاتصال التزامني بين الرّامز والمرموز إليه.[4]

النوع	الموضع	الصفحة
	اشتد تبسم أمير المؤمنين من كلامي	49

قال عبد العزيز: «فكثر تبسم المأمون حتى غطى فمه بيده وأطرق ينكث بيده على السرير» وإنما السرير هو مجلس الذي جلس فيه الخليفة وهو كرسي الملك، وجاء بهذا الترميز

[1] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 34.
[2] المصدر نفسه، ص: 35.
[3] المصدر نفسه، ص: 39.
[4] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، ص: 53.

للعلاقة بين السرير والحكم. فهو لا يشير إلى مكان الحكم الذي سيقرر لمن الغلبة واكتفى بأن يشير إليه.

وقد رمز إلى السلطة بلفظة "سرير"، ودلّ بذلك على أنه وافقه الحديث ورضي حجته.

المطلب الثالث: الحجج المؤسسة لبنية الواقع

يعتمد المحاجّ في هذا النوع من الحجج على إثبات حالة خاصة سابقة أو وضع قاعدة عامة أو خلق قدوة ومما يندرج تحت هذا النوع:

1 الشاهد:

يلجأ المحاجج أحيانا إلى الاستدلال بواسطة الشاهد حيث «إن الحجاج بالشاهد يرفض اعتبار الحالة الخاصة المثارة معزولة ومرتبطة بالسياق الذي حدثت فيه»[1] وذلك أن ما يصدق على الشاهد يصدق على الحادثة التي تم استحضار الشاهد فيها على أن يكون الشاهد يتناسب والحالة المعروضة.

وفي كتاب الحيدة نجد حجة الشاهد في هذه المواضع:

النوع	الموضع	الصفحة
الشاهد	قال عبد العزيز: صدقت إنك لا تفهم ولا تعقل ولا تسمع ما أقول ولقد وصفت نفسك بأقبح الصفات، واخترت لها أذم الاختيارات، ولقد ذم الله عز وجل في كتابه من قال مثل ما قلت: أو كان بمثل ما وصفت به نفسك.	34
الشاهد	قال عبد العزيز: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ	35

[1] الحسن بنو هاشم: نظرية الحجاج، ص: 65، 66.

	﴿٣٠﴾ {سورة الأحقاف، الآية: 29، 30} ومثل هذا في القرآن كثير، فما اخترت لنفسك ما اختاره الرسول، ولا ما اختاره المؤمنون، ولا ما اختاره أهل الكتاب، ولا ما اختاره الجن لأنفسهم	
الشاهد	قال بشر: لو ورد عليك اثنان وقد تنازعا في علم الله عز وجل، فحلف أحد هما بالطلاق: إن علم الله هو الله. وخلف الآخر بالطلاق: إن علم الله غير الله، فقالا لك: أفتنا في أيماننا فما كان جوابك لهما. قلت: الإمساك عنهما وتركهما وجهلهما وصرفهما بغير جواب.	50

قال عبد العزيز: «قال الله عزّ وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ {سورة الأنعام، الآية: 91} فذمّ الله اليهودي حين نفى أن تكون التوراة شيئا، وذلك أن رجلا من المسلمين ناظر رجلا من اليهود بالمدينة فجعل المسلم يحتج على اليهودي من التوراة بما علم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر نبوته فيها حتى أثبت نبوته صلى الله عليه وسلم من التوراة، فضحك اليهودي وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فأنزل الله عزّ وجل تكذيبه، وذمّ قوله وأعظم فريته حين جحد أن يكون كلام الله شيئا» [1]

نلاحظ أن الكناني أتى بحادثة وجعلها شاهدا له يحتج بها حيث بين أن الله عزّ وجل ذمّ اليهودي وأكذَبَ قوله وأعظم فريته لأنه قال بأن الله لم ينزل على بشر من شيء، وأنكر أن تكون التوراة شيئا، والحالة التي فيها اليهودي والسياق التي وردت في الحادثة هي حادثة نفسها التي تجمع المريسي بالكناني.

[1] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 36.

2 التناسب:

يعتمد التناسب على مبدأ التشابه الموجود في العلاقات وذلك أننا نثبت أن "أ" بالنسبة إلى "ب" هي مثل "ج" بالنسبة إلى "د"، فالعلاقة "أ – ب" تشبه العلاقة "ج – د"[1]

ونجد حجية التناسب في كتاب الحيدة والاعتذار في هذه المواضع:

النوع	الموضع	الصفحة
التناسب	فقلت: يا أمير المؤمنين إن نفي السوء لا تثبت به المدحة قال بشر: وكيف ذلك؟ قلت: "إن قولي هذه الاسطوانة لا تجهل ليس هو إثبات العلم لها.	46

قال الكناني: «سمعت بعض من هنا يقول لأمير المؤمنين: يكفيك من كلامه قبح وجهه فما يضرني قبح وجهي مع ما رزقني الله عزّ وجل من فهم كتابه، والعلم بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فتبسم المأمون حتى وضع يده على فيه، ثم قلت يا أمير المؤمنين أطل الله بقاءك رأيتك تنظر إلى هذا النقش وانتفاخ الجص وتذكره، وسمعت عمرًا يعيب ذلك ويدعو على صانعه، ولا يعيب الجص، ولا يدعو عليه، فقال المأمون لا يقع على الشيء المصنوع، وإنما يقع العيب على الصانع

قال: قلت: صدقت يا أمير المؤمنين، ولكن هذا يعيب ربي لم خلقني قبيحا فازداد تبسما حتى ظهرت (ثناياه)»[2]، ذهب الكناني ليثبت خطأ هؤلاء ويبرهن على سوء كلامهم وذم فهمهم إلى إقامة تشابه علاقة بين ما قيل في حقه وفي حق الجص، فنحن أمام تشابه في العلاقة.

شبه علاقة ذم صانع الجص بعلاقة خالق الكناني حيث نجد:

[1] الحسن بنو هاشم: نظرية الحجاج، ص: 88.

[2] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 31.

فلما كان توجيه العيب للصانع لا للجص فقد جعل العيب بعلاقة التشابه في الخالق لا في المخلوق

أ: الخالق
ب: عبد العزيز
الموضوع

ج: الصانع
د: الجص
الحامل

المبحث الرابع: الروابط والعوامل في كتاب الحيدة والاعتذار

استعمل الكناني والمريسي في مناظرتهما مجموعة كبيرة من الروابط والعوامل الحجاجية من أجل زيادة القوة الحجاجية وبناء الخطاب من خلالها.

المطلب الأول: الروابط الحجاجية

في كتاب الحيدة والاعتذار روابط حجاجية كثيرة استعملها المتناظران بغية التأثير والإقناع، والروابط الحجاجية «تربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح (أو أكثر)، وتسند لكل قول دورًا محددًا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة، ويمكن التمثيل للرابط بالأدوات التالي: بل، لكن، حتى، لا سيما، إذن، لأن، بما أن، إذ...إلخ»[1] ويوجد عدد من هذه الروابط في مناظرة الحيدة والاعتذار.

1 الرابط الحجاجي: "حتى":

ورود هذا الرابط الحجاجي "حتى" في المواضع التالية

النوع	الموضع	الصفحة
الرابط "حتى"	ما أحسبك إلا وقد تعلمت شيئا، أو سمعت قائلا يقول هذه المقالة التي قلتها، أو قرأتها في كتاب فأنت تكره أن تقطعها حتى تأتي على آخرها.	33
الرابط "حتى"	فجعل المسلم يحتج على اليهودي من التوراة بما علم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر نبوته فيها حتى أثبت نبوته صلى الله عليه وسلم من التوراة فضحك اليهودي.	36
الرابط "حتى"	قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين علي أن أكسر قوله وأكذبه فيما قال بنص التنزيل حتى يرجع أو يقف أمير المؤمنين علي كسر قوله وكذبه وبطلان ما ادعاه.	43
الرابط "حتى"	فإذا أنزل الله تبارك وتعالى خبرا مخرج لفظه خاص ومعناه عام، أو خبرا مخرج لفظه عام ومعناه خاص لم يدعه إشكالا	46

[1] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص: 27.

	على خلقه حتى يجعل أحد بيانين، إما أن يستثني من الجملة شيئا يكون بيانا للناس جميعا، أو يقدم قبله خبرا خاصا.	
الرابط "حتى"	معنى خلق ومعنى صير لم يدع الله في ذلك اشتباها على خلقه ولبسا على عباده فيلحد الملحدون في ذلك ويشبهون على خلقه كما فعل بشر وأصحابه حتى جعل على كل كلمة علما ودليلا فرق به بين الجعل الذي يكون على معنى الخلق.	**69**
الرابط "حتى"	وأما جعل الذي هو بمعنى التصيير الذي هو غير خلق فإن الله عز وجل أنزله من القول الموصل الذي لا يدري المخاطب "به " حتى تصل الكلمة بالكلمة التي بعدها فيعلم ما أراد بها.	**69، 70**

يعد هذا الرابط من الروابط المهمة التي تستعمل لإدراج الحجج، ويصنف من الروابط المتساوقة «يساعد على تقوية إيقان المتقبل بالنتيجة، بل إن العمل قبل ذلك يرسم له صورة المسلك الذي ينبغي عليه أن يقطعه للوصول إلى النتيجة»[1]، ومما ورد في استعمال هذا الرابط في كتاب الحيدة والاعتذار:

قال الكناني: «قال الله عزّ وجل وقد ذكر كلامه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ {سورة التوبة: الآية: 06} يعني حتى يسمع القرآن، لأنه لا يقدر أن يسمع كلام الله من الله»[2]، استدل الكناني بآية من القرآن يريد أن يثبت أن القرآن كلام الله، وأنه غير مخلوق وحملت الآية رابطا حجاجيا متساوقا وهو حتى، «وللمعطوف بـ "حتى" عند النحاة العرب شرطان:

1-أن يكون بعض ما قبلها.

2-أن يكون غاية لما قبلها، في زياد أو نقصان والزيادة تشمل القوة والتعظيم، والنقص يشمل الضعف والتحقير»[3]، وقد كان ما بعد "حتى" غاية لما قبلها، فسماع القرآن هو الغاية

[1] عز الدين ناجح: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، دار نهى، صفاقس، ط01، 2011م، ص: 134.

[2] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 40.

[3] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص: 72.

من إجارة المشرك، وشمل ما بعد الرابط زيادة وذلك بتعظيم ما بعدها. ونمثل لبنية الملفوظ على النحو التالي:

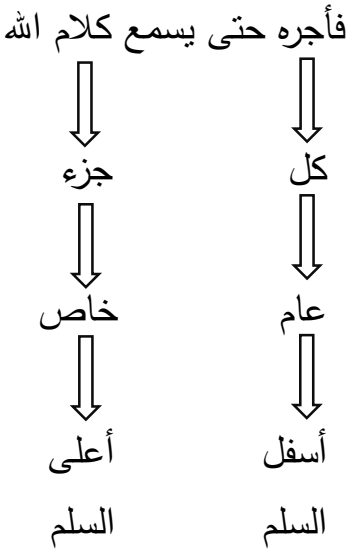

فإجارة المشرك فيها عموم، ومن بين ما يجده المشرك وقت مكوثه سماع القرآن، «ولما كانت إقامة المشرك المستجير عند النبي صلى الله عليه وسلم لا تخلو من عرض الإسلام عليه وإسماعه القرآن سواء كانت استجارته لذلك أم لغرض آخر»[1]، فالاستدلال بهذه الآية جاء لتوضيح أن القرآن كلام الله حيث «إن الحجة التي ترد بعد "حتى" هي الأقوى، وهو ما يقصده النحاة لقولهم: أن يكون ما بعدها غاية لما قبلها»[2]، فالاهتمام يكون للحجة الواقعة بعد "حتى".

2 الرابط الحجاجي "لكن":

ورد هذا الرابط في المواضع الآتية:

النوع	الموضع	الصفحة
الرابط "لكن"	فلما أظهر الله عز وجل اسم كلامه لم يظهره باسم الشيء فيلحد الملحدون في ذلك، ويدخلونه في جملة الأشياء المخلوقة، ولكنه أظهره عز وجل باسم الكتاب والنور والهدى، ولم يقل قل من أنزل الشيء الذي جاء به موسى.	36

[1] محمد بن الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د ط)، 1984م، ج10، ص: 118.

[2] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص: 73.

الرابط "لكن"	ولقد أخبر الله عز وجل عن جهله، وأزال عنه التذكرة، وأخرجه عن جملة أولى الألباب، لكن أمير المؤمنين أطال الله بقاه لما خصه الله به من الفضل والسؤدد، ورزقه من دقة الفهم وكثرة العلم والمعرفة باللغة عقل عن الله عز وجل قوله، وعرف ما أراد به وما عنى به فقبله، واستحسنه ممن انتزعه بين يديه، وأظهر قبوله والرضاء بقوله.	42، 43
الرابط "لكن"	فأقبل المأمون على بشر فقال: يأبي عليك عبد العزيز إلا أن تقر أن لله علما فأجبه ولا تحد عن جوابه. فقال بشر: قد أجبته وأن معنى العلم لا يجهل وهذا جوابه ولكنه يتعنث.	45
الرابط "لكن"	فأقبل عليّ المأمون فقال: حسبك يا عبد العزيز قد أقر بشر على نفسه بالكفر وإحلال الدم وأشهد على نفسه بذلك، وقد صدقت في كل ما قلت، ولكنه قال ما قال وهو لا يعقل ولا يعلم ما عليه في ذلك، وهذا شيء يلزمه في نفسه خاصة ولا يلزم غيره ممن لا يقر بمثل ما أقر به، ولا يحكم به على غيره بمثل ما حكم به بشر على نفسه.	66
الرابط "لكن"	يا عبد العزيز تكلم في بيان هذا واذكر الجعل والخلق وفرق بينهما واشرح، ذلك ليقف عليه من بحضرتنا ويعرفه، فقلت: نعم يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك، ولكن إن رأيت أن تأذن لي فأقول قبل البيان والشرح أشياء في هذا المعنى مما أكسر به قول بشر، وأدحض به حجته وأفضح به مذهبه وأبطل به اعتقاده.	67

يدرج هذا الرابط للاستدراك، وإن «التلفظ بأقوال من نمط "أ لكن **ب**" يستلزم أمرين اثنين:

-أن المتكلم يقدم "**أ**" و "**ب**" باعتبارهما حجتين، الحجة الأولى موجهة نحو نتيجة معينة "**ن**" والحجة الثانية موجهة نحو النتيجة المضادة لها، أي "لا – **ن**"

-أن المتكلم يقدم الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى باعتبارها توجه القول أو الخطاب برمته»[1]، وقد ورد هذا في قوله:

«يا أمير المؤمنين إن الله عزّ وجل أجرى على كلامه ما أجراه على نفسه؛ إذ كان كلامه من صفاته فلم يتسم بالشيء، ولم يجعل الشيء اسما من أسمائه، ولكنه دلّ على نفسه أنه شيء وأكبر الأشياء إثباتا للوجود ونفيا للعدم»[2] استعمل الكناني الرابط "لكن"، ونلاحظ أن هناك تعارضا حجاجيا بين ما يسبق الرابط وما يأتي بعده، فالجزء الأول من الخطاب، "لم يتسم بالشيء ولم يجعل الشيء اسما من أسمائه" يتضمن نتيجة من قبيل ليس من أسماء الله الشيء والجزء الثاني من الخطاب يخدم نتيجة مضادة للنتيجة الأولى: "لا – ن"، أي تخدم نتيجة من قبيل: "الله شيء".

وباعتبار «أن الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى، فإنها ستوجه القول بمجمله نحو النتيجة "لا– ن»[3]، ونمثل لها كالآتي:

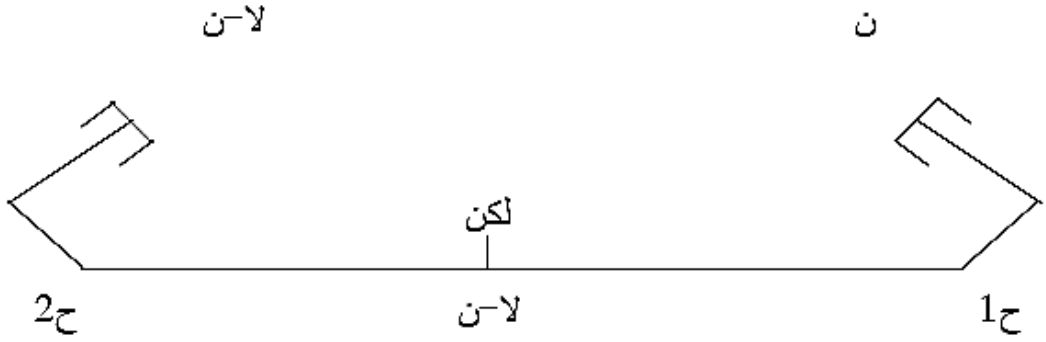

فالحجة الأولى تخدم النتيجة (ن) والحجة الثانية تخدم نتيجة مضادة (لا – ن) وذلك من خلال الرابط لكن.

[1] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص: 58.
[2] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 35.
[3] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص: 59.

3 الرابط الحجاجي "لأن":

ورد هذا الرابط في المواضع التالية:

النوع	الموضع	الصفحة
الرابط "لأن"	وقال الله عز وجل بنص التنزيل: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ {سورة الأنعام، الآية 102} وهذه لفظة لم تدع شيئا إلا أدخلته في الخلق ولا يخرج عنها شيء ينسب إلى الشيء، لأنها لفظة استقصت الأشياء، وأتت عليها مما ذكر الله تعالى ومما لم يذكرها فصار القرآن مخلوقا بنص التنزيل بلا تأويل ولا تفسير.	43
الرابط "لأن"	فقلت: يا أمير المؤمنين، قال الله عز وجل: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾ {سورة الأحقاف، الآية: 25} يعني الريح التي أرسلت على عاد، فهل أبقت الريح يا بشر شيئا لم تدمره، قالت: لا لم يبق شيء إلا دمرته، وقد دمرت كل شيء كما أخبر الله تعالى لأنه لم يبق شيء إلا وقد دخل في هذه اللفظة. قلت: قد أكذب الله من قال هذا بقوله: ﴿فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡ﴾ {سورة الأحقاف، الآية:25} فأخبر عنهم أن مساكنهم كانت باقية بعد تدميرهم، ومساكنهم أشياء كثيرة.	43
الرابط "لأن"	فأما إذا اجتمعنا جميعا أنا وبشر وسائر الخلق في جهل هذه المسألة وقلة العلم بها، فليس الضرر بداخل في دونه، وهذه مسألة لا يحل أن يسأل عنها، ولا يحل لأحد يجيب فيها لأن الله عز وجل حرم ذلك عليه.	52
الرابط "لأن"	قلت: يا بشر ألست تزعم أن قوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ {سورة الأنعام، الآية 102} لفظه لا يخرج عنها شيء، لأن كل، كلمة تجمع الأشياء فلا تدع شيئا يخرج عنها وكل شيء داخل فيها.	53

الرابط "لأن"	فأما الخبر الذي مخرجه العموم ومعناه معنى العموم، فهو قول عز وجل: ﴿وَلَهُۥ وَكُلُّ شَيۡءٍ﴾ {سورة النمل، الآية: 91} فجمع هذا الخبر الخلق والأمر، ولم يبق شيئا إلا وقد أتى عليه، لأن كل شيء هو له، مما هو مخلوق وغير مخلوق.	55
الرابط "لأن"	الناس اسم يجمع آدم وعيسى ومن بينهما ومن بعد هما، فعقل المؤمنون عن الله عز وجل عند نزول هذا الخبر إنه لم يعن آدم وعيسى عليهما السلام في الناس الذين خلقهم من ذكر وأنثى لأنه قد قدم ذلك الخبر الخاص في آدم وعيسى عليهما السلام	55
الرابط "لأن"	فسواء عند العرب قال، وجعل، أو قال وخلق، لأنها قد علمت أنه أراد بهذا اجعل الخلق، لأنه أنزل من القول المفصل.	67
الرابط "لأن"	وسواء عندها قال جعل أو قال خلق، لأنها قد علمت ما أراده وما عنى.	67
الرابط "لأن"	فمن ذلك قول الله عز وجل: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ {سورة ص، الآية: 26} فلو قال: إنا جعلناك، ولم يصلها بما بعدها لم يعقل داود عليه السلام ولا أحد ممن سمع هذا الخطاب ما أراد الله به. ولا ما عنى بقوله لأنه خاطبه بهذا القول وهو مخلوق.	70

ويعد هذا الرابط من أدوات التعليل «ونريد أن نشير إلى أن روابط الشرط والتفسير والتبرير والتعليل تترابط وتتعارض وتتقابل فيما بينها»[1]، ومما ورد في استعمال هذا الرابط ما قاله الكناني: «وهذه مسألة لا يحل أن يسأل عنها ولا يحل لأحد أن يجيب فيها لأن الله عزّ وجل حرّم ذلك عليه»[2]، نلاحظ أن الرابط "لأن" يعمل عكس الرابط الحجاجي "حتى" فالرابط يعمل بمبدأ عكسي حيث تأتي النتيجة ثم تليها الحجج، وذلك لأن الرابط من أدوات التعليل.

[1] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص: 77.

[2] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 52.

4 الرابط الحجاجي "الواو":

يعد الواو حرف عطف وهو كثير الاستعمال في اللغة، واستعمالاته «تكشف عن عبقرية أخرى في الاشتغال لإنجاز السلم الحجاجي خارج إطار النفي والإثبات أو الإضراب أو التعليل أو انتهاء الغاية كما هو الشأن مع حتى مثلا»[1]، وقد ورد هذا الرابط بكثرة تعذر علينا إحصاؤه.

ومما ورد استعماله لهذا الرابط في كتاب الحيدة والاعتذار –وهو كثير جدا– قول الكناني: «فأنا والله يا أمير المؤمنين أعلم أن الذي أنزل عليه صلى الله عليه وسلم هو الحق وأومن به وبشر يشهد على نفسه إنه لا يعلم ذلك ولا يعقله ولا يقبله ولا مما يقوم لي به عليه حجة فلم يقل كما قال الله عزّ وجل، ولا كما علم بنبيه صلى الله عليه وسلم أن يقوله، ولا كما قال موسى عليه السلام، ولا كما قالت الملائكة، ولا كما قال المؤمنون، ولا كما قال أهل الكتاب»[2]

لقد بنى الكناني خطابه على الرابط الحجاجي الواو، وقد «عمل العامل الحجاجي على إعطاء الملفوظ درجة عليا في السلم الحجاجي وذلك بما أداه الإجمال والتفصيل»[3]، فالكناني قدم العلم على الإيمان، لأن العلم عام مجمل والإيمان جزء مفصل، وأخبر أن المريسي لم يقل مثل ما قال تعالى وهذا إجمال ثم انتقل إلى الخاص والمفصل وهم: النبي صلى الله عليه وسلم وموسى عليه السلام والملائكة والمؤمنون وأهل الكتاب.

ويمكن أن تمثل كالآتي:

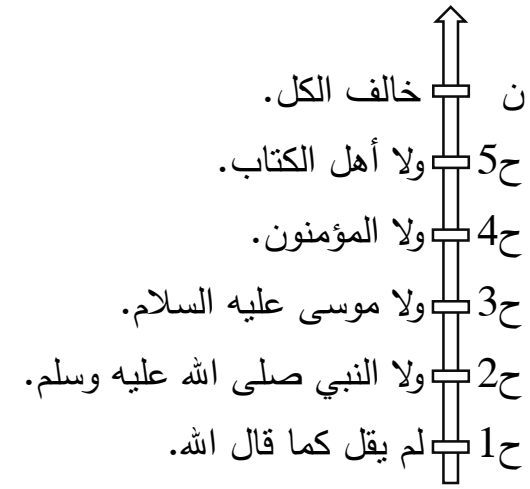

[1] عز الدين ناجح: العوامل الحجاجية، ص: 152.
[2] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 42.
[3] عز الدين ناجح: العوامل الحجاجية، ص: 154.

المطلب الثاني: العوامل الحجاجية

تعمل العوامل الحجاجية في تقييد الإمكانات داخل الخطاب الحجاجي، وقد تم توظيف العوامل في خطاب المناظرة بكثرة، ومن أهم العوامل التي اعتمدها المتناظرين في بناء خطابهم نجد:

1 القصر:

ويعتبر هذا الأسلوب من أهم العوامل الحجاجية التي يسعى من خلالها المخاطِب توجيه المخاطَب إلى نتائج معينة؛ وذلك من خلال الحصر والتقييد للإمكانات الحجاجية، والقصر «تخصيص شيء بشيء أو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوصة»[1] والمخصوص يحمل في ذاته قيمة حجاجية؛ وذلك أنه يقيد الإمكانات الخطابية، ويسعى من خلال هذا التقييد توجيه المتلقي إلى ما يقصده المتكلم.

وقد اعتمد المتناظران على العوامل الحجاجية في هيكلة الخطاب الحجاجي داخل المناظرة، ومن أهم ما جاء في كتاب الحيدة والاعتذار نجد ما يلي:

1-1 العامل "لا...إلا":

وقد ورد هذا العمل في مناظرة الحيد والاعتذار في مواضع التالية:

النوع	الموضع	الصفحة
العامل لا...إلا	قال عبد العزيز: ثم أقبل علي المأمون وقال: تكلم يا عبد العزيز. فقلت: يا بشر زعمت أني قد أتيت بأشياء متباينات متفرقات فزعمت أن الله خلق بها الأشياء، فما قلت إلا ما قال الله عز وجل في كتابه، وما جئت بشيء غير كلام الله ولا قلت ولا أقول إلا أن "الله " خلق الأشياء بكلامه.	39

[1] عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية علم المعاني-البيان-البديع، دار النهضة العربية، بيروت، 1984 م، (د، ط)، (د، ت)، ص: 142.

العامل لا...إلا	يا أمير المؤمنين قد أصل بيني وبينه كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وزعم أنه لا يقبل إلا نص التنزيل فما لنا ولذكر لغة العرب وغيرها لست أقبل منه إلا نص التنزيل بما قال أن كلام الله هو قوله، وهو أمره، وهو الحق.	40
العامل لا...إلا	قال عز وجل: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ {سورة النمل، الآية: 23} يعني بلقيس، فكأن بقولك يا بشر يجب أن لا يبقى شيء يقع عليه اسم الشيء إلا دخل في هذه اللفظة وأوتيته بلقيس، وقد بقي ملك سليمان وهو مائة ألف ضعف مما أوتيته لم يدخل في هذه اللفظة.	43
العامل لا...إلا	فقلت: صدقت يا أمير المؤمنين لا يجوز لي ولا لغيري بأن يقضي بينهم ولا يفتيهم إلا أن يكون الله عز وجل قد أخبر عن ذلك في كتابه أو على لسان نبيه خير.	51
العامل لا...إلا	وإنما يدخل النقض علي يا أمير المؤمنين لو كان بشر يعلم ما سألني عنه أو غيره من العلماء، وكنت أنا لا أعلمه.	52
العامل لا...إلا	وقال الله عز وجل: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾ {سورة الأنعام، الآية: 100} وخلقوا له شركاء الجن، لا معنى له عنده ولا عند من يقول بقوله ومن خالفه ولا عند سائر الناس إلا هذا، فزعم بشر أن الله عز وجل أخبر إنهم يخلقون له شركاء الجن.	65
العامل لا...إلا	فزعم بشر يا أمير المؤمنين إن معنى، وجعلوا، وخلقوا لله شركاء لا معنى له عنده ولا عند من قال بقوله ولا من خالفه ولا عند العرب والعجم إلا هذا المعنى فزعم أن الله عز وجل أخبرهم، إنهم خلقوا له شركاء.	65

يأتي هذا العامل كأهم أدوات الاستثناء، يقوم على الحصر بسبب النفي الذي يسبق أداة الاستثناء؛ حيث «إن للعامل الحجاجي (النفي والاستثناء) علاقة وثيقة بالأحوال التي يكون

عليها المخاطب، فالجو العام للنفي وما يلفه من ظرف نفسي أو اجتماعي له الأثر الكبير في استعمال هذا العامل»[1]، فيكون أسلوب القصر هذا محددا وموجها داخل الخطاب.

قال الكناني: «ولا خرجت عن كتاب الله عزّ وجل ولا قلت إلا ما قال عزّ وجل، ولا أخبرت إلا بما أخبر الله عزّ وجل به أنه خلق "مما" يوافق بعضه بعضا»[2] وقد جاء أسلوب النفي والاستثناء ليقيد قول "الكناني" بما قاله ربّنا جلّ وعلا، فهو لا يخرج عما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى، وقوله مستمد من كلام الله جل ثناؤه، ونمثل لذلك كالآتي:

لا	قلت	إلا	ما قال عز وجل
⇩	⇩	⇩	⇩
نفي	نتيجة	استثناء	حجة

فعند حذف النفي وأداة الاستثناء نجد ما يلي:

- قلت ما قال الله.

ونلاحظ أن المعنى لم يتغير ولم يحدث «أي اختلاف بين المثالين بخصوص القيمة الإخبارية أو المحتوى الإعلامي، ولكن الذي تأثر بهذا التعديل هو القيمة الحجاجية للقول، أي الإمكانات الحجاجية التي يتيحها»[3]، فحين توفر العامل "لا...إلا" حصر الإمكانات العديدة في القول، ووجه المتلقي إلى نتيجة واحدة وهي أن هذا قول الله سبحانه وتعالى.

ويساهم العامل "لا...إلا" في تأكيد النتيجة بناء على الحصر «ومن سمات هذا العامل أيضا تقرير المعنى في الذهن وتثبيته الدعوة ضمن نسق لغوي خاص، يقرره الأسلوب والأداة

[1] مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص: 110.

[2] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 39.

[3] مجموعة مؤلفين: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق: حمو النقاري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط01، 2006م، ص: 64.

المستعملة، وتقديم المقصور على المقصور عليه»[1]، ويبنى هذا النسق اللغوي الخاص على أسلوب القصر مستعملا أداة النفي والاستثناء.

1-2 العامل: "ليس...إلا":

ورد هذا العامل في المواضع التالية:

النوع	الموضع	الصفحة
العامل: "ليس...إلا"	يا أمير المؤمنين قد أصل بيني وبينه كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وزعم أنه لا يقبل إلا نص التنزيل فما لنا ولذكر لغة العرب وغيرها لست أقبل منه إلا نص التنزيل بما قال إن كلام الله هو قوله، وهو أمره، وهو الحق.	39

هذا العامل يصنف ضمن أسلوب الحصر، ويقوم هو الآخر على أداة نفي "ليس" وأداة استثناء "إلا"، وأداة النفي "ليس" «فعل ماض جامد، تفيد وع معمولها نفي اتصاف اسمها بمعنى خبرها اتصافا يتحقق في الزمن الحالي»[2]، فهذا النفي الحاصل من الفعل "ليس" حين يقترن بأداة الاستثناء يحدث أسلوبا للقصر.

ومن أمثلة هذا الأسلوب ما جاء في قول الكناني: «قلت يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك، قد تكلم بشر وطالبني بنص التنزيل على ما قلت وهو المناظر لي فضجيج هؤلاء أي شيء، هو وأنا لم أنقطع ولم أعجز عن الجواب وإقامة الحجة بنص التنزيل كما طالبني ولست أتكلم في هذا المجلس ويتكلم فيه غير بشر إلا أن ينقطع بشر عن الحجة فيعتزل ويتكلم غيره في مكانه، فصاح المأمون بمحمدٍ بن الجهم وغيره فأمسكوا»[3]

أفادت "ليس" ها هنا مع معمولها نفي اتصاف اسمها "تاء المتكلم" بمعنى خبرها "أتكلم" فالجملة الفعلية "أتكلم" جملة منفية في الزمن الحالي، وقد تم تقييد الكلام بعنصر الإحالة "هذا"

[1] مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص: 110.

[2] عباس حسن: النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة، والحياة اللغوية المتجددة، دار المعرف، مصر، ط03، (د، ت)، ج01، ص: 559.

[3] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 40.

وعليه نفى الكناني عن نفسه التكلم في هذا المجلس وبيّن السبب في ذلك وهو "تكلم ابن الجهم ومن معه وإثارتهم الضجيج، غير أنه استثنى فقال: "إلا أن ينقطع بشر عن الحجة فيعتزل ويتكلم غيره" واستثنى الكناني وقيد كلامه بانسحاب بشر وانقطاعه وهذا الاستثناء مع النفي يتقرر به القصر، فالكناني لن يتكلم حتى ينسحب "بشر" ويتقدم غيره للمناظرة.

ونمثل لذلك:

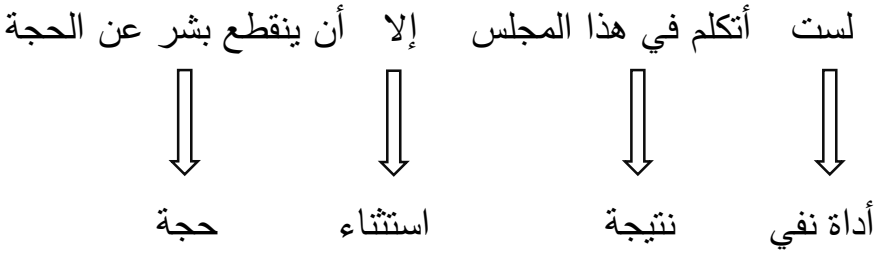

4-1 **العامل "إنما":**

ورد هذا العامل في المواضع التالية:

النوع	الموضع	الصفحة
العامل "إنما"	قال عبد العزيز: فإنما أمر الله أن يرد إليه وإلى الرسول، ولم يأمرنا أن نرده إلى كتابه العزيز وإلى سنة نبيه عليه السلام". قال عبد العزيز: هذا مالا خلاف فيه بين المؤمنين وأهل العلم إن رددناه إلى الله فهو إلى كتاب الله، وإن رددناه إلى رسوله بعد وفاته رددناه إلى سنته، وإنما يشك في هذا الملحد.	32
العامل "إنما"	وإن كنت إنما تريد أن تخطئني وتتكلم لتدهشني وتنسيني حجتي فلن أزداد بتوفيق الله إياي إلا بصيرة وفهما.	33
العامل "إنما"	فدل عز وجل بهذه الأخبار كلها وأشباه لها كثيرة على أن كلامه ليس كالأشياء وأنه غير الأشياء، وأنه خارج عن الأشياء، وأنه إنما تكون الأشياء بقوله وأمره، ثم ذكر خلق الأشياء كلها فلم يدع منها شيئا إلا ذكره.	37

العامل "إنما"	أخبر عن خلقه، وأنه إنما خلقه بالحق، وأن الحق قوله وكلامه الذي به خلق الخلق كله، وأنه غير الخلق، وخارج عن الخلق، وهذا نص التنزيل على أن كلام الله غير الأشياء المخلوقة، وليس هو كالأشياء وإنما به تكون الأشياء.	38
العامل "إنما"	يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك فقد ادعى أن الأشياء إنما تكون بقوله، ثم جاء بأشياء متباينات متفرقات، فزعم أن الله عز وجل يخلق بها الأشياء فأكذب نفسه ونقض قوله.	39
العامل "إنما"	وإنما أجرى الله عز وجل مثل هذا على كلامه، كما أجراه على نفسه لأنه من ذاته.	39، 40
العامل "إنما"	عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وقد قدم عليه فنظر إليه يكاد يتفقا شحما، فقال: يا معاوية ما هذه الشحمة لعلها من نومة الضحى ورد الخصوم، قال له معاوية: يا أمير المؤمنين رحمك الله علمني وفهمني، ولم يكن هذا جوابا لقول عمر رضي الله عنه إنما حاد عن جوابه لعلمه بما فيه فاجتلب كلاما غيره فأجاب به.	45
العامل "إنما"	وأما الحيدة في كلام العرب فقول امرئ القيس: تقول وقد مال الغبيط بنا معا ... عقرت بعيري يا امرء القيس فانزل فقلت لها سيري وأرخي زمامه ... ولا تبعديني من جناك المعلل ولم يكن هذا جوابا لكلامها، وإنما حاد عن جوابها واجتلب كلاما غيره	45
العامل "إنما"	قلت يا أمير المؤمنين صدق أن الله لا يجهل، ولم تكن مسألتي إياه على هذا، إنما سألته أن يقر بالعلم الذي أخبر الله تعالى عنه في كتابه وأثبته لنفسه.	45
العامل "إنما"	يا أمير المؤمنين إنه لم يمدح الله تعالى في كتابه ملكا ولا نبيا ولا مؤمنا بنفي الجهل ليدل على إثبات العلم، وإنما مدحهم بالعلم.	46

العامل "إنما"	فقال المأمون: أحسنت أحسنت يا عبد العزيز، وإنما فر بشر أن يجيبك في هذه المسألة لهذا.	47
العامل "إنما"	فقلت: إنما تأمرني بما نهاني الله عنه وحرم علي القول به، وتأمرني بما أمرني به الشيطان.	49
العامل "إنما"	فقلت له: كم ألقي عليك إني أقول بالخبر وأمسك عن علم ما ستر عني، وإنما قلت إن لله نفسا كما أخبرنا وقد أقررت بذلك فلتكن عندك على أي معنى شئت؟	54
العامل "إنما"	ما قدم في ذلك من الخبر الخاص أن الأشياء المخلوقة إنما تكون بقوله، وإنما غلط بشر ومن قال بقوله وهلكوا وتاهوا وضلوا لجهلهم بالخاص والعام في القرآن العظيم، وإنما شرف الله العرب وفضلها بمعرفتها بخاص القرآن وعامه ومجمله ومبهمه.	58
العامل "إنما"	معنا من كتاب الله آية لا يتهيأ لك معارضتها ولا دفعها، ولا التشبيه فيها، ولا الخطب عليها، كما فعلت في غيرها، وإنما أخرتها ليكون انقضاء المجلس عليها وسفك دمك بها.	59
العامل "إنما"	وأنت أعلم خلق الله بلغات قومه، وإنما يكفر بشر الناس ويبيح دماءهم بتأويل التنزيل.	60
العامل "إنما"	يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك إنما قد خاطبت أمير المؤمنين بما قد حصل في يدي، وأقر بشر به وأشهد أمير المؤمنين على نفسه.	66
العامل "إنما"	فقال: لا يطول بنا المجلس فقلت: يا أمير المؤمنين إنما أدرسه درسا يا أمير المؤمنين، قال: قل ما تريد، ولا تخاطب بشرا أقبل علي ودعه.	67
العامل "إنما"	وإنما دخل الجهل على بشر ومن قال بقوله يا أمير المؤمنين لأنهم ليسوا من العرب ولا علم لهم بلغة العرب ومعاني كلامها.	71
العامل "إنما"	وإنما تتكلم بالشيء كما يجري على ألسنتها، فكل كلامهم ينقض بعضه بعضا.	71

العامل "إنما"	وإنما تتكلم بالشيء كما يجري على ألسنتها، فكل كلامهم ينقض بعضه بعضا.	71

ويعد العامل "إنما" موجها مقيدا للإمكانات حيث، «ينهض العامل الحجاجي "إنما" في النص مظهرا معنى ثابتا، وذلك بتقييده وجعله مؤكدا به، مما يكسب الخطاب نوعًا من ترتيب الحجة وتقويتها»[1]، فيعمل هذا الرابط على تأكيد المعنى وتقييده وتوجيه المتلقي نحو نتيجة معينة.

قال الكناني: «فقال بشر: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك فقد ادعى أن الأشياء إنما تكون بقوله، ثم جاء بأشياء متباينات»[2]، استعمل "بشر" هذا الأسلوب "القصر" وبأداة "إنما" التي تأتي «لخبر لا يجهله المخاطب، ولا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة»[3]، والمريسي وجه خطابه لأمير المؤمنين وهو عالم بما قاله الكناني، ولم يجهله.

وقد قال "الكناني" ردا على "بشر" وأنه قد حار لما جاءه به فقال: «وإنما أجرى الله عزّ وجل مثل هذا على كلامه كما أجراه على نفسه لأنه من ذاته، فسمى كلامه بأسماء كثيرة وهي شيء واحد، كما سمى نفسه بأسماء كثيرة وهو واحد أحد صمد فرد، وإنما ينكر بشر هذا ويستعظمه لقلة فهمه ومعرفته ومعنى كلام العرب وألفاظها»[4]

فحصر الكناني ما أجراه الله عزّ وجل على كلامه وذلك لتأكيد الأمر من خلال أسلوب الحصر، «ويكسب العامل الحجاجي (إنما) النص تقييدا بمحتوى ذهني عميق، كاسبا النص أبعاد جديدة من خلال تسليط الضوء على معنى واحد غير متعدد»[5]، فالكناني قيد ما أجراه الله عزّ وجل على كلامه، وعلى نفسه، وخصص كل ذلك بالله سبحانه وتعالى.

---

[1] مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص: 113.

[2] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 39.

[3] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تع: محمود محمد شاكر، مكتبة الخناجي، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، ص: 330.

[4] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 39، 40.

[5] مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص: 144.

وقال: "إنما بشر ينكر هذا" وهذا تقييد ثانٍ في النص فخصص الإنكار على بشر وقصر عليه، ونمثل لهذا الرابط على النحو الآتي:

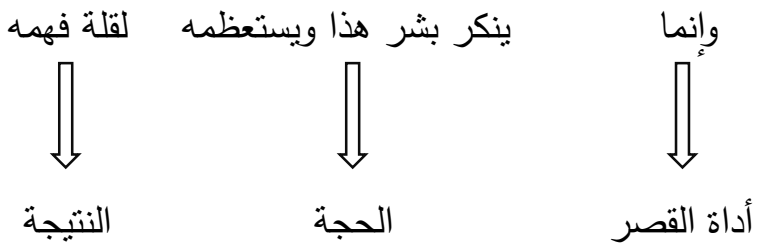

2 أسلوب الشرط:

يأتي الشرط ضمن المقيدات للإمكانات الحجاجية، فهو أحد العوامل التي تسعى لتوجيه المتلقي نحو ما يريده المخاطب، والشرط «أسلوب لغوي يقوم على جزأين، يتسبب الجزء الأول وهو جملة الشرط في وجود الثاني وهو الجزاء أو الجواب، فأسلوب الشرط يتكون من ثلاثة أركان وهي: أداة الشرط، جملة الشرط، وجملة جواب الشرط أو جزاءه»[1]، من أهم ما ورد في كتاب الحيدة والاعتذار في هذا الأسلوب:

2-1 الشرط بـــ "لو":

ورد هذا العامل في المواضع التالية:

النوع	الموضع	الصفحة
الشرط بـــ "لو"	وجعل بشر يصيح ويقول: لو تركناه يتكلم لجاءنا بألف لون مما خلق الله عز وجل بها الأشياء.	39
الشرط بـــ "لو"	فقال لي بشر: لو ورد عليك اثنان وقد تنازعا في علم الله عز وجل، فحلف أحد هما بالطلاق: إن علم الله هو الله. وخلف الآخر بالطلاق: إن علم الله غير الله، فقالا لك: أفتنا في أيماننا	50

[1] جمله داود عبد الجليل عياش: أسلوب الشرط والقسم بين لغة الشعر الجاهلي ولغة الحديث الشريف، (رسالة ماجستير)، إشراف: عودة خليل أبو عودة، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، (د، م)، 2010م، ص: 66.

فما كان جوابك لهما. قلت: الإمساك عنهما وتركهما وجهلهما وصرفهما بغير جواب.

أسلوب الشرط بـ "لو" لا يتحقق فيه الشرط؛ ذلك لأن «"لو" حرف يفيد امتناع الجواب بسبب امتناع الشرط، والمراد بأن الجواب لم يحدث الشرط لأن الشرط لم يتحقق»[1]، ونجد أن هذا الأسلوب يقوم على تقييد الإمكانات وحصرها من خلال ارتباط الجزء الأول بالثاني فهو سبب لحصوله، قال عبد العزيز: «وجعل بشر يصيح ويقول: لو تركناه يتكلم لجاءنا بألف لون مما خلق الله عزّ وجل بها الأشياء»[2] فقيد المريسي حصول مجيء الأدلة بترك الكناني يتكلم ويتمثل ذلك من خلال الترسيمة التالية:

لو	تركناه يتكلم	لجاءنا بألف لون
⇓	⇓	⇓
أداة الشرط	الحجة	النتيجة

نلاحظ من خلال التمثيل أن الأداة قامت بتقييد الإمكانات وتقييد حصول النتيجة بحصول الحجة، ولمّا كان الجواب ممتنع امتنع كذلك الشرط، فلا تقع النتيجة لأن الحجة غير واقعة.

أداة الشرط ⟸ الحجة ⟸ النتيجة

2-2 الشرط بـ "من":

وقد ورد هذا الشرط في قول الكناني: «وكل من تقدّم (وجوده) قبل علمه فقد دخل عليه الجهل في ما بين وجوده إلى حدوث علمه، وهذه صفة المخلوقين، والله عزّ وجل أعظم وأجلّ من أن يوصف بذلك أو ينسب إليه، ومن قال ذلك فقد كفر وحلّ دمه ووجب على أمير المؤمنين قتله»[3] فجاء التقييد في أول النص، وهو أن كل من تقدّم وجوده قبل علمه فقد دخل

[1] أيمن أمين عبد الغني: الكافي في البلاغة، ص: 355.
[2] عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، ص: 39.
[3] المصدر نفسه، ص: 46، 47.

عليه الجهل، فالجهل مقيد بقدم الوجود على العلم ولمّا كان هذا التقييد حاصلا فهو يفيد تعلق الجواب بفعل الشرط.

من	تقدّم (وجوده) قبل علمه	فقد دخل عليه الجهل
⇓	⇓	⇓
أداة الشرط	فعل الشرط	جواب الشرط
	(الحجة)	(النتيجة)

فحصول الجواب مرتبط بوقوع الفعل.

وكذلك في قوله: "من قال ذلك فقد كفر وحل دمه..."

من	قال ذلك	فقد كفر وحل دمه
⇓	⇓	⇓
أداة الشرط	فعل الشرط	جواب الشرط
	(الحجة)	(النتيجة)

خـــــــــاتمة

في نهاية هذا البحث توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

1. اعتمد كل من المتناظرين "عبد العزيز الكناني"، و"بشر المريسي" في "مناظرة الحيدة والاعتذار" على مجموعة كبيرة من الحجج؛ من أجل تدعيم البناء الحجاجي وهيكلة الخطاب واستمالة المتلقي، وقد ساهمت هذه الحجج في بناء النص حجاجي من خلال التوجيهات والأبعاد الحجاجية التي تضمنتها المناظرة في كل أجزائها وتمفصلاتها الإبلاغية.

2. انبنى الهيكل الحجاجي في كتاب "الحيدة والاعتذار" على مقدمات ونتائج، وكان عرضها متنوعا، فتم تقديم المقدمات وتأخير الحجج في بعضها وهذا النوع هو الغالب في هذه المناظرة، وتأخير المقدمات وتقديم الحجج في بعضها الآخر، كما لجأ المريسي إلى إضمار النتيجة وإظهار المقدمات في موضعين، وأضمر الكناني النتيجة مرة واحدة هذه المناظرة.

3. تنوع الحجاج في كتاب "الحيدة والاعتذار" من خلال حضور الحجاج التقويمي والتجريدي، والتوجيهي في كثير من المواضع، حيث كان الحجاج التقويمي والتوجيهي أكثر حضورا من التجريدي، وذلك أن المناظرة كانت بين شخصين مختلفين من حيث البناء المعرفي والاعتقاد المذهبي، وخرجت المناظرة في بعض الأحيان عن إطارها التنظيمي، وارتبط الحجاج التقويمي في هذه المراحل بهذه السلوكيات، أما الحجاج التوجيهي فكان أداة لتوجيه ذهن المخاطَب إلى مسائل خفيت عنه، وتنبيهه إليها، وقد وجه الكناني المريسيَّ إلى مواضع كثيرة في هذا الباب.

4. بنى كل من المتناظرين خطابه على سلمية حجاجية تم توجيه الحجج فيها توجيها متراتبا، ومتضادا، وقصديا، وكانت المراتب المتضادة والقصدية أكثر حضورا في كتاب "الحيدة والاعتذار" وذلك لأن التضاد نشأ من خلال الخلاف المعرفي القائم بين المتناظرين، ثم كان اللجوء إلى التوجيه القصدي حسب ما يقتضيه المقام، هذا أن توجيه ذهن المتلقي سببه غفلة هذا الأخير لأشياء كثيرة، وجب تنبيهه إليها.

5. تنوعت الحجج في كتاب "الحيدة والاعتذار"، واستعمل المتناظران الحجج شبه المنطقية والحجج المؤَسَّسَة على بنية الواقع والحجج المؤَسِّسَة لبنية الواقع، وكانت الحجج شبه المنطقية أكثر حضورا، وخاصة في حجة التعدية، حاول الكناني فيها دحض حجج المريسي خاصة وأن هذا الأخير من أهل الصنعة الكلامية، مما دفع المريسي إلى الانقطاع عن الكلام.

6. يعد خطاب "الحيدة والاعتذار" من الخطابات الغنية بالعوامل والروابط الحجاجية ساهمت العوامل في تنظيم الحجج داخل البناء الخطابي للمناظرة، وقيدت الروابط مجموع الإمكانات داخل الخطاب، فاستعمل الكناني روابط كثيرة، لأنه كان يسوق الحجج، ويدعم قوله بها، وأكثر منها حتى استوقفه المأمون في بعضها، طالبا منه الايجاز في عرضها، واستعمل مقيدات كثيرة وكان العامل "إنما" أكثرها باعتباره أقوى أنواع القصر، ولجأ المريسي إلى اعتماد أسلوب الشرط بـ: "لو" يفترض فيها مسألة وقت لم يجد ما يناظر به صاحبه، فرد عليه الكناني بمثلها بعدة مسائل كلها انبت على أسلوب الشرط بـ: "لو"، ودحض فرضيته ورد حججه.

7. ساهمت الحجج في بناء الخطاب ونجاعته؛ حيث كونت بؤرة الإنجاز الحجاجي في المناظرة التي جمعت بين قطبين من أقطاب العلم، وسعى كل واحد منها التأثير في الآخر وإقناعه من خلال حشد الأدلة والحجج، وتنظيمها، وترتيبها وفق ضعفها وقوتها.

التوصيات:

يمكن إدراج بعض التوصيات:

1. لابد من التنبيه إلى ربط الدرس التداولي والحجاجي بالتراث العربي في كل المجالات وذلك لما يحتويه من زخم معرفي وملكة لغوية كبيرة.

2. ندعو إلى إعادة قراءة التراث بمنظور لغوي حديث وخاصة فيما يتعلق بالجانب الوظيفي والاستعمالي للغة، والاستفادة من آليات البحث في الدرس اللغوي المعاصر في قراءة فاحصة لكل الخطابات العربية التراثية.

3. وجوب الاستفادة من الأدوات البلاغية العربية في تطوير الدرس التداولي والحجاجي خاصة.

الملـــــــحق

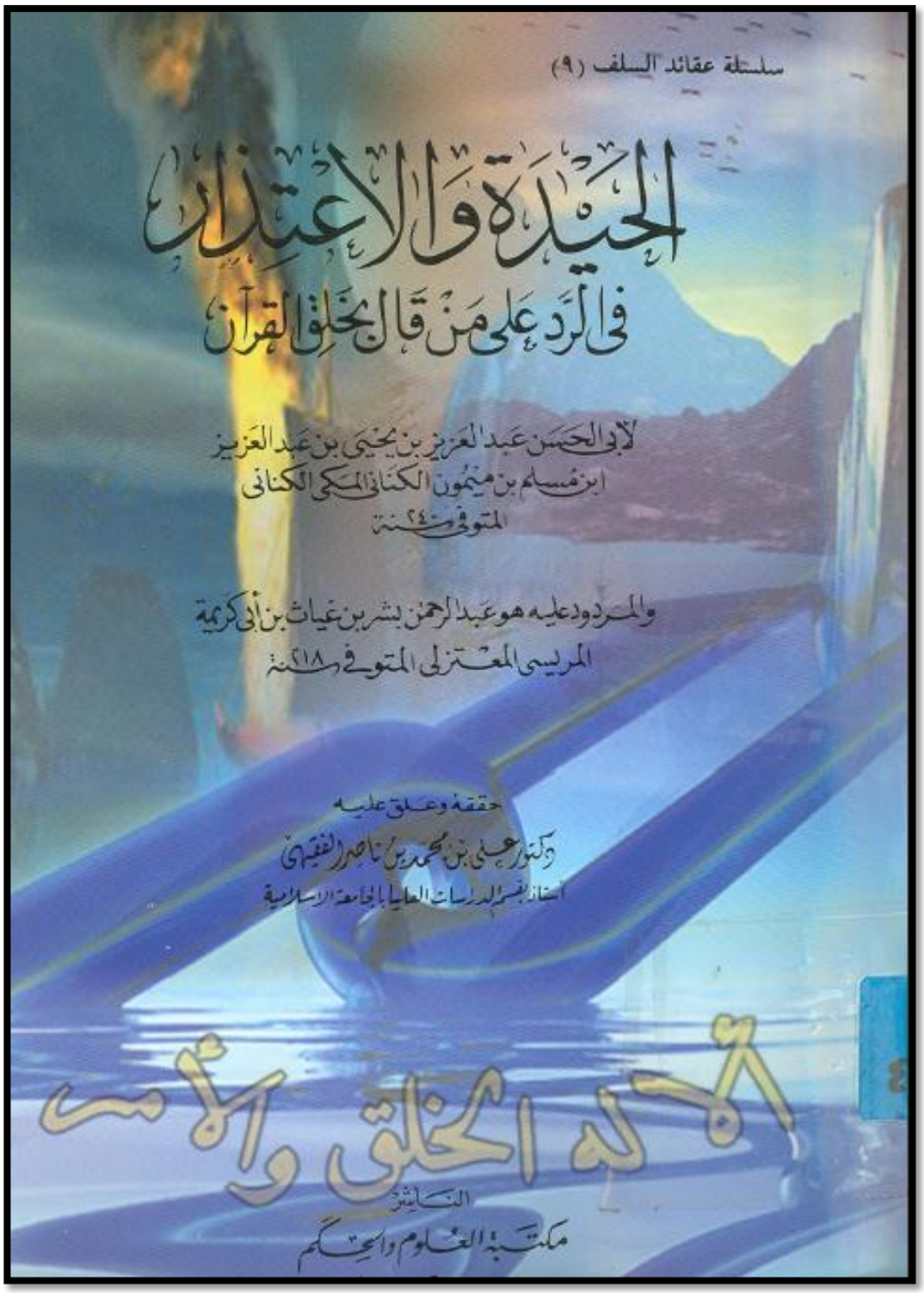

صورة كتاب الحيدة والاعتذار

المصادر والمراجع

1.القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1436هـ.

المدونة:

2. عبد العزيز الكناني: الحيدة والاعتذار، تح: علي بن محمد بن ناصر الفقهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط02، 2002 م.

أولا الكتب العربية:

3. إبراهيم بن علي بن يوسف أبو اسحاق الشيرازي الشافعي: طبقات الفقهاء، تح: إحسان عباس دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ص: 103.
4. أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط01، 2006م.
5. أحمد فهد صالح شاهين: النظرية التداولية، عالم الكتب الحديث، بيروت، ط01، 2015م.
6. أحمد مداس: لسانيات النص، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط02، 2009م.
7. الأزهر زناد: نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط01، 1993م.
8. أيمن أمين عبد الغني: الكافي في البلاغة البيان والبديع والمعاني، تق: رشدي طعيمة وآخران، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، (د، ط)، 2011م.
9. جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، عمان، ط01، 2016م.
10. الحسين بنو هاشم: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط01، 2014م.
11. حسين خمري: نظرية النص، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط01، 2007م.
12. خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط01، 2009م.
13. الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2003م.

14. سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2011م.

15. سيف الدين على بن أبي علي بن محمد الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، تع: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، الرياض، السعودية، ط01، 2003م.

16. شهاب الدين أبو الفضل أحمد ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (د، ط)، (د، ت).

17. طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط01، 1998م.

18. طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجدد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط02، 2000م.

19. عباس حسن: النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة، والحياة اللغوية المتجددة، دار المعرف، مصر، ط03، (د، ت).

20. عبد العالي قادا: بلاغة الإقناع، دار كنوز المعرفة، عمان، ط01، 2016م.

21. عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية علم المعاني–البيان–البديع، دار النهضة العربية، بيروت، 1984 م، (د، ط)، (د، ت).

22. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تع: محمود محمد شاكر، مكتبة الخناجي، القاهرة، (د، ط)، (د، ت).

23. عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال «مصنف في الحجاج–الخطابة الجديدة» لبرلمان وتيتيكاه، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس، (د، ط)، (د، ت).

24. عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، دار الجنوب، تونس، ط01، 2011م.

25. عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط01، 2004م.

26. عز الدين ناجح: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، دار نهى، صفاقس، ط01، 2011م.

27. عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، تق: سليمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط02، 2009م.

28. على بن محمد على الشريف الحسيني الجرجاني: التعريفات، مطبعة مصطفى البابي الحلي وأولاده، مصر (د، ط)، 1938م.

29. عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط08، 1990م.

30. ليندة قياس: لسانيات النص، تق: عبد الوهاب شعلان، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط01، 2009م.

31. مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط01، 2015م.

32. مجموعة مؤلفين: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق: حمو النقاري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط01، 2006م.

33. محمد إدريس الشافعي: الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، مصر، ط01، 1938م.

34. محمد بن أحمد شمس الدين الذهبي: العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت).

35. محمد بن أحمد شمس الدين الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: على محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت).

36. محمد بن الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د ط)، 1984م.

37. محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، تح: عبد الله على الكبير وآخران، دار المعرف، القاهرة، ط01، (د، ت).

38. محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط01، 1991م.

39. محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط01، 2008م.

40. محمد ولد سالم الأمين: حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، الجماهرية العظمى، ط01، 2004م.

41. محمود بن عمر بن محمد الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1998م.

42. محمود عكاشة: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط01، 2013م.

43. محمود عكاشة: تحليل النص، مكتبة الرشد، (د، م)، ط01، 2014م.

44. محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ط)، 1985م.

45. مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط01، 2005م.

ثانيا الكتب المترجمة:

46. آن ريبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، مر: لطيف زيتوني، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط01، 2003م.

47. باتريك شارودو، ودومينيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، وحمادي صمود، مر: صلاح الدين الشريف، دار سيناترا، تونس، (د، ط)، 2008م.

48. جاك موشلار وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من لأساتذة والباحثين، إشراف: عز الدين المجدوب، دار سيناترا، تونس، ط02، 2010م.

49. جورج يول: التداولية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط01، 2010م.

50. روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والاجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط01، 1998م.

51. زتسيسلاف واوززنياك: مدخل إلى علم النص، تر: حسين البحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط01، 2003م.

52. فان ديك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر وتع: سعيد حسن البحيري، دار القاهرة، القاهرة، مصر، ط01، 2001م.

53. فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، (د، ط)، 1986م.

54. فليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غولفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ط01، 2007م.

ثالثا الكتب الأجنبية:

55. Jean Dubois et autres : Dictionnaire étymologique et historique du français, Éditions Larousse, Paris, France, 2007.

56. Le petit larousse illustré, dictionnaire de français, larousse, Paris, France.

57. Le Robert : dictionnaire de française, Paris, France, 2005.

رابعا المجلات والدوريات:

58. أبو بكر العزاوي: الحجاج والبرهان، مجلة روابط، تح: ربيعة برباق، تق: أبو بكر العزاوي، ع01، 02، 2018م، منشورات مؤسسة المثقف، باتنة، الجزائر.

59. فطومة لحمادي: السياق والنص استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي، مجلة كلية الأدب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع2، 3، جانفي، جوان 2018م، جامعة محمد خيضر بسكرة.

خامسا الرسائل الجامعية:

60. جمله داود عبد الجليل عياش: أسلوب الشرط والقسم بين لغة الشعر الجاهلي ولغة الحديث الشريف، (رسالة ماجستير)، إشراف: عودة خليل أبو عودة، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، (د، م)، 2010م.

61. النذير سبيعي: الأبعاد التداولية في مقامات الهمذاني، (رسالة ماجستير)، إشراف: فوزية دندوقة، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2014–2015م.

الفـــــــــهرس

مـــقدمـــــة..... 2
الفصل الأول: اصطلاحات ومفاهيم..... 6
تمهيد:..... 7
المبحث الأول: النص والخطاب..... 8
المطلب الأول: النص 8
1 لغة:..... 8
2 اصطلاحا:..... 9
2-1 في اصطلاح علماء العرب: 9
2-2 في اصطلاح علماء الغرب: 10
2-2-1 النص عند هاليداي "Halliday":..... 10
2-2-2 النص عند فان دايك "Van Dijk":..... 10
2-2-3 النص عند روبرت دي بوجراند " R. De. Beaugrande ":..... 11
المطلب الثاني: الخطاب..... 12
1 لغة:..... 12
2 اصطلاحا:..... 13
2-1 عند الأصوليين: 13
2-2 في الدرس الحديث:..... 13
2-2-3 عند بنفنست "BENVENISTE":..... 14
المبحث الثاني: التداولية..... 15

المطلب الأول: مفهوم التداولية.....15
1 التداولية لغة:.....15
2 التداولية اصطلاحا:.....16
المطلب الثاني: أصول التداولية.....17
1 الفلسفة:.....17
1-1 الوضعانية المنطقية:.....17
1-2 الظاهرتية اللغوية:.....18
1-3 الفلسفة العادية:.....18
2 السيميائيات:.....18
3 اللسانيات:.....19
المطلب الثالث: قضايا التداولية.....20
1 أفعال الكلام:.....20
1-1 الفعل القولي "Acte Locutoire":.....21
1-2 الفعل المتضمن في القول " Acte Illocutoire ":.....21
1-3 الفعل الناتج عن القول "Acte Perlocutoire " :.....21
2 الملفوظية:.....21
3 الإحالة:.....21
4 السياق:.....22
5 المحادثة:.....22
6 الحجاج:.....23

المبحث الثالث: الحجاج.....24
المطلب الأول: مفهوم الحجاج.....24
1 لغة:.....24
2 اصطلاحا:.....24
المطلب الثاني: الحجاج والمفاهيم المجاورة.....26
1 الاستدلال: 26
1 -1 الاستدلالات التحليلية: 26
1-2 الاستدلالات الجدلية:.....27
2 البرهان:.....27
المطب الثالث: الحجاج بنيته وأنواعه.....28
1 بنية الخطاب الحجاجي: 28
1-1 المقدمات:.....28
1-1-1 الوقائع:.....28
1-1-2 الحقائق:.....29
1-1-3 الافتراضات:.....29
1-1-4 القيم:.....29
1-1-5 الهرميات:.....29
1-1-6 المواضع: 30
1-2 النتائج:.....30
2 أنواع الحجاج: 31

2-1 الحجاج التجريدي:.....31
2-2 الحجاج التوجيهي:.....31
2-3 الحجاج التقويمي:.....31
المطلب الثالث: الروابط والسلالم الحجاجية.....32
1 الروابط الحجاجية:.....32
2 السلالم الحجاجية:.....33
الفصل الثاني: الحجاج في كتاب الحيدة والاعتذار 35
تمهيد:.....36
1 سيرة المتناظرين:.....37
1-1 عبد العزيز الكناني:.....37
1-2 بشر المريسي:.....38
2 الحكم:.....38
3 سياق المدونة:.....39
المبحث الأول: بنية الخطاب الحجاجي وأنواعه في كتاب الحيدة والاعتذار.....41
المطلب الأول: بنية الخطاب الحجاجي.....41
1 المقدمات / النتيجة:.....41
2 النتيجة / المقدمات:.....45
3 إضمار النتيجة:.....50
المطلب الثاني: أنواع الحجاج.....52
1 الحجاج التوجيهي:.....52

2 الحجاج التقويمي:.....54
3 الحجاج التجريدي:.....55
المبحث الثاني: السلالم الحجاجية في كتاب الحيدة والاعتذار.....58
المطلب الأول: المراتب الكمية.....58
المطلب الثاني: المراتب المتضادة.....60
المطلب الثالث: المراتب القصدية.....63
المبحث الثالث: أنواع الحجج في كتاب الحيدة والاعتذار.....68
المطلب الأول: الحجج شبه المنطقية.....68
1 التناقض والتعارض:.....68
2 التعريـف:.....69
3 التعدية والتضمين والتقسيم:.....70
3-1 التعدية:.....71
3-2 التضمين:.....73
3-3 التقسيم:.....74
المطلب الثاني: الحجج المؤسسة على بنية الواقع.....76
1 الوصل السببي:.....76
2 حجة الاتجاه:.....78
3 الاتصال الرمزي:.....79
المطلب الثالث: الحجج المؤسسة لبنية الواقع.....80
1 الشاهد:.....80

2 التناسب:.....82
المبحث الرابع: الروابط والعوامل في كتاب الحيدة والاعتذار.....84
المطلب الأول: الروابط الحجاجية.....84
1 الرابط الحجاجي: "حتى":.....84
2 الرابط الحجاجي "لكن":.....86
3 الرابط الحجاجي "لأن":.....89
4 الرابط الحجاجي "الواو":.....91
المطلب الثاني: العوامل الحجاجية.....92
1 القصر:.....92
1-1 العامل "لا...إلا":.....92
1-2 العامل: "ليس...إلا":.....95
1-3 العامل "إنما":.....96
2 أسلوب الشرط:.....100
2-1 الشرط بـــ "لو":.....100
2-2 الشرط بـ "من":.....101
خـــــــــاتمة.....103
المـلـــــحق.....107
المصادر والمراجع.....109
الفـــــــــهرس.....116